



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

فن السيرة في كتابات "نزار قباني" النثرية "قصتي مع الشعر" أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي حديث

فرع: أدب عربي

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

د/مجنّاح جمال

صبرينة جعفر

المشرف المساعد: د/ العربي بختي

السنة الجامعية: 2012 / 2013



شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾.

الحمد لله والشكر لله عز وجل الذي أعانني ويسر لي أمري لإتمام هذا البحث

أشكر الدكتورين الفاضلين الكريمين اللذين أشرفا علي، ولم يبخلا في توجيهي ونصحي، وصبرا وتكبدا مشقة إتمام هذا البحث وإخراجه على هذه الصورة التي هو عليها.

الدكتور "العربي بجتي" و الدكتور "جمال مجناح" حفظهما الله.

أشكر الدكتورين العراقيين الفاضلين على تواصلهما معي وتزويدهما لي بالمعلومات المهمة لبحثي

الدكتور "محمد صابر عبيد" ودكتور "حاتم الصكر"

كما أشكر الأستاذ "عمار مهدي" على اقتراحه عنوان البحث.

وأشكر زميلتي المحبوبة الودودة البشوشة التي سهلت لي الطريق لاقتناء المصادر والمراجع "خديجة بن سالم" العاملة بمكتبة الأدب محمد بوضياف بالمسيلة.

وأشكر طاقم مكتبة "باب الجامعة" الذين ساعدوني في كتابة وطباعة هذا البحث وخاصة إسمهان

{والشكر الخالص أوجهه إلى زوجي الفاضل الذي صبر وتحمل معي مشاق الدراسة وشاركتي البحث وسهر

معني وشجعني على إتمامه}

فشكرا جزيلاً لهم جميعاً

صبرينة جعفر

إلى أبي وأمي العزيزين نبعا الحب والود والعطاء والحنان

عجزت عن شكرهما ورد جميلهما عليّ . . . المداني وفاطمة حفظهما الله .

وإلى رفيق دربي ومن جمعني به القدر زوجي الصبور ياسين سليمان قاضي

وإلى شقيقتي وفاء وسهام

وإلى أشقائي مراد و فاتح وجابر وأحمد وأسامة

وإلى جدتي الغالية "عائشة " أطال الله عمرها .

وإلى بلدي الجزائر

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي هذا سائلة المولى أن ينفع به .

مَسْرُورٌ

مقدمة:

اهتم النقد الأدبي العربي الحديث بالسيرة وفنها وتقنياتها، بالنظر في تماهيا مع الإبداعات الأدبية الأخرى في الشعر والقصة والرواية والمسرحية، وقد يعود ذلك إلى أن حديث المرء عن نفسه من أمتع الأمور وأصعبها وأخطرها في الوقت نفسه، ولكل فرد الطريقة التي تروقه وتستهو به ليحفظها رداء لتجربته الشخصية الدفينة في أعماقه، والتي طويت عبر الزمن، والتي تخرج إلى الحياة بعد بلوغ صاحبها قمة النضج، ووعيه التام لما سيقوله، فتكون على شكل رواية السيرة الذاتية أو قصيدة السيرة الذاتية أو غيرها من الأشكال. وهذا التنوع يتبعه تنوع عند الأدباء والشعراء أصحاب هذه السيرة الذاتية.

وقد صدق الناقد العراقي "محمد صابر عبيد" عندما قال في كتابه الموسوم بـ "بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا- من السيرة إلى التجربة الأدبية:» الشعراء كثر في كل زمان ومكان، وربما الأصدقاء في فضاء الزمان والمكان أيضا، لكن الشعر في مقياس الإبداع النوعي الخلاق والمختلف والمغاير قليل... لذا فإن "الموت" عادة ما يأخذ الشعراء مهما كثروا وتعدوا وتنوعوا وتوثبوا، لكنه لا يأخذ الشعر مهما قل وتخفى ونُدِر، ويأخذ الأصدقاء مهما تعاضمت أعدادهم وتباينت نياتهم لكنه لا يأخذ الصديق الواحد مهما انفرد، فأمام كثرة فنون الاختيار وزحمتها تبقى القصيدة الخلابة هي الأمتع والصديق النوعي المفرد هو الأصعب»¹ والشاعر "تزار قباني" هذا الذي لقب بشاعر "المرأة" من منا لا يعرفه، وقد تمكن من كتابة اسمه على هذا الشعر بثقة ومهارة ووعي ومقصدية، ولم يبق في الوطن العربي شاب ولا امرأة إلا وفنتته كلمات هذا الشاعر سواء من الجيل الذي عرفه في حياته أو الجيل الذي تلاه.

إن شهرة هذا الشاعر وعالميته لمن الأسباب التي جعلتني ودفعنتني أبحث وأبحث لعلني أجد تفسيراً يثلج صدري لذيع صيته وكشف خبايا شخصيته الشعرية، فما وجدت أصدق وأصفى منبع أنهل منه إلا كتابه الذي ييوح لنا فيه عن كوامنه الشخصية التي باتت ترهقه،

¹- محمد صابر عبيد: بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا- من السيرة إلى التجربة الأدبية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2013، ص 05.

فأراد منا أن نحمل معه عبء هذه التجربة الذاتية الشعرية بفرحها وحزنها ويأسها وأملها ورجائها وغضبها وهذونها...

هذا الكتاب الذي سماه "قصتي مع الشعر" والذي أدرج ضمن فن السيرة الذاتية، والذي صرح فيه الشاعر بذلك، فجاءني شيء من الفضول تجاهه فتحمست وطرقت بابه ففتح لي.

ومن الأسباب الأخرى التي حفزتي للخوض في غمار هذا البحث هو ميولي إلى فن السيرة الذاتية، وولوعي بكتابتها، وحبّي وفضولي لمعرفة أسرار الأدباء والشعراء.

فهل يا ترى هذا الكتاب يعد من فن السيرة؟ وكيف تجسدت مقومات هذا الفن فيه؟ وما هو الجديد الذي أتى به "نزار قباني" لفن السيرة من خلاله؟ وهل وفق في كتابه فن سيرتي ذاتي بمعاييره الفنية الحديثة؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سأحاول الإجابة عنها اعتماداً على خطة وضعتها وتكونت من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

تضمن المدخل "ماهية فن السيرة الذاتية" من حيث المفهوم والنشأة وجذورها في الأدب العربي الحديث، والتماس الفني بينها وبين التاريخ والرواية وأهم خصائصها وختم بالعلاقة بين السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان "تجليات السيرة الذاتية" في كتاب "قصتي مع الشعر" "نزار قباني" وقد احتوى على ثلاث مباحث معنونة بالترتيب؛ العناصر المنتمية للنص السيرذاتي والعناصر المنتمية لخارج النص السيرذاتي والفضاء السيرذاتي، واحتوى كل واحد منهم على مطلبين تفرعا إلى عدة فروع.

والفصل الثاني كان عبارة عن إضافات وجديد "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"، احتوى هو الآخر على مبحثين هما الإضافة للسيرة الذاتية واللغة واللون، ونزعة "نزار قباني" الإنسانية بين الواقع والخيال، وكل مبحث تضمن مطلب اقتضى هذا تقسيمها إلى ثلاثة فروع، وخاتمة.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التحليلي الوصفي والنقدي الذي يتوافق مع طبيعة الموضوع.

وقد اعترضت سبيلي في إعداد هذا البحث عدة مشاكل أذكر منها "الوقت" الذي حال بين وبين الغوص والتعمق فيه.

والدراسات التي اعتمدت عليها وتدخل في هذا المجال أذكر منها:

- 1- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية "قراءة في التجربة الشعرية لشعراء الحداثة العربية، مذيّل بمعجم مصطلحات السيرة، دار الثقافة والإعلام الشارقة.
- 2- خليل شكري هياس: سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات.
- 3- فيليب لوجون: السيرة الذاتية والتاريخ.

وفي الختام أقول: «إنني لا أدعي الكمال، فالكمال لله وحده، وإنما هو جهد بشري، وعمل متواضع، وكل ما قمت به هو أنني فتحت باباً ليلج منه بقية طلبة المعهد لكشف أسرار هذه الشخصية الفذة»

"والله الموفق، وهو المستعان."

مدخل

ماهية فن السيرة الذاتية

أولاً: السيرة الذاتية مفهومها ونشأتها.

ثانياً: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث
وحوافزها.

ثالثاً: التماس الفني بين الرواية والتاريخ والسيرة الذاتية.

رابعاً: العوامل الوسيطة للسيرة الذاتية.

خامساً: خصائص السيرة الذاتية.

سادساً: أشكال السيرة الذاتية في النثر.

سابعاً: السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.

أولاً: السيرة الذاتية مفهومها ونشأتها.

تعد السيرة الأدبية فنا متميزا ينتمي إلى الفنون السردية على مستوى الشكل والبناء، وتمثل السيرة في الأدب العربي غني في الجوانب النفسية الحية والمضامين المتجددة فهي صورة شفافة صادقة للتجربة الإنسانية على اختلاف زمانها ومكانها، وهي مصدر غني من مصادر المعرفة والمتعة، المتعة في الاطلاع على دوائر النفس البشرية وأسرارها وصراعاها مع الحياة والمجتمع في إطار فني متماسك يضمن استمرار المشاركة الإنسانية التي يريجوها المؤلف من القارئ.

" والسيرة الذاتية تتبع من القاموس الإنساني الذي يحتوي في معظم لغات البشر كلمات تعبر عن الوحدة والعزلة والانطواء والتأمل والاستيطان والتفكير العقلي والضمير والوعي الفردي... ومهما انشغل الإنسان بالعالم والآخريين فلا بد أن تجيء عليه لحظة يجد نفسه في حوار مع نفسه " ¹

إن: ((إننا نتطلع دائما للعالم الخارجي ولكننا نحب أيضا الأمان ونحن نميل إلى تحقيق ذواتنا ولكن نحرص أيضا على الطمأنينة، ومن هنا فإننا كثيرا ما نجد أنفسنا من حيث ندري أو لا ندري مضطرين إلى أن ننطوي على ذواتنا)) ².

ويتبين من خلال هذا أن السيرة الذاتية ليست فنا ميسورا هينا، بل هي من الفنون التي تقتضي من كاتبها مشقة أن يتجرد من نفسه ويتخلص من أهوائه ونزعاته الخاصة. ومن الصعوبات التي تعترض كاتب السيرة الذاتية والتي أشار إليها الكاتب الفرنسي "اندرية مورو" في الفصل الذي عقده للسيرة الذاتية في كتابه أوجه كتابة التراجم نذكر النسيان وخيانة الذاكرة.

¹ عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، سنة 1992، ص 07.

² زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، القاهرة، مكتبة مصر، سنة 1972، ص 23.

ونجد إبراهيم السعافين يورد تعريفا لها فيقول: ((هي نقل مباشر لأحداث الماضي يقوم في كثير من صورته على التفسير والتأويل الشخصي، لأن الذاكرة تقلسف الأشياء الماضية وتتنظر إليها من زاوية جديدة وتهدم وتبني حسبما يلائم تجدد الظروف وتغيرها وتجد التعليل والمعاذير للأشياء سابقة لأنها في عملية كشف دائم)).¹

((ولقد خاض علماء كثر في فن السيرة الذاتية، نذكر منهم "جورج ماي" فمن المشاكل التي تطرحها السيرة الذاتية في النظرية النقدية الحديثة هي الاهتمام التاريخي بماهية السيرة الذاتية وبدايات ظهورها كفن في الآداب العربية والغربية وإيجاد مقومات الجنس الأدبي بين الأجناس الأدبية ومحاولة إيجاد تعريف يتناسب مع الحدود المبدئية لتصنيف السيرة الذاتية كجنس له هويته، إذ تنوعت التعريفات والمصطلحات للدلالة على مفهوم السيرة الذاتية بمترادفاتها المتعددة)).²

وإذا كانت الدراسات لم تجمع على سبب وجود الإشكالية في تعريف السيرة الذاتية تكاد تجمع على وجود تلك الإشكالية، لذلك نجد "فيليب لوجون" في كتابه "السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ" يعلن تراجعته عن التعريف الذي وضعه في دراسة سابقة للسيرة الذاتية ثم يحاول إيجاد حد جديد لها " بواسطة سلسلات من التعارضات بين مختلف النصوص المقترحة للقراءة".³

ومصطلح السيرة الذاتية أخذ من إنجلترا في بداية القرن 19 وكانت اللفظة تدل على معينين متجاورين ولكنهما مختلفين:

المعنى الأول: وهو الذي يقترحه "لاروس 1866" "حياة فرد مكتوبة من قلبه فهي نوع من الاعتراف في مقابل المذكرات التي تروي أحداثا يمكن أن تكون غريبة عن السارد".

¹ إبراهيم السعافين وآخرون: أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق، عمان ، ط 1، السنة 1997 ، ص 196.

² أمل التميمي: السيرة الذاتية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، سنة 2005 ، ص 23.

³ فيليب لوجون: السيرة الذاتية ، الميثاق والتاريخ ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، السنة 1994 ، ص 22.

المعنى الثاني: فهي كل نص يبدو أن مؤلفه يعبر عن حياته أو إحساسه مهما كانت طبيعة العقد المقترح من قبل المؤلف وهذا المعنى هو الذي يقصده "فابيروا" في المعجم الكوني للأدب 1876 حيث يقول: ((إن السيرة الذاتية عمل أدبي، رواية سواء كان قصيدة أم مقالة فلسفية قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو بشكل صريح رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم حياته)).¹

وبهذا انتهى "فيليب لوجون" في دراسته لجنس السيرة الذاتية إلا أنه لم يريد في البداية إلا سوى تصحيح غفلته وتوضيح معايير قراءته، بالرغم من التعريف الذي وضعه. أما "جورج ماي" فيرى أن العائق كامن في كون هذا اللون حديث الوجود، فالظاهرة الأدبية لكي تتطور وترسم معالمها تحتاج إلى وقت طويل. واستنادا إلى ما جاء به "فيليب لوجون و جورج ماي" يجب أن نتعامل مع أدب السيرة الذاتية كفن حديث العهد.

ثانيا : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث وأهم حوافزها.

((في نهاية القرن التاسع عشر، بعد أن اتصل العالم العربي بركب الحضارة الغربية ظهرت إرهاصات هذا الفن في الأدب العربي الحديث)).²

من هذه الإرهاصات ما كتبه "أحمد فارس الشدياق" (1801.1877) في كتابه (الساق على الساق فيما هو الفرياق، أما "رفاعة الطهطاوي" صاحب كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز، فقد عده بعض الباحثين من الإرهاصات ولكن ذاته كانت محتجبة في كتابه وكان غرض الطهطاوي وصف رحلته التي قام بها إلى فرنسا ليستفيد من كتابه الطلاب الذين سيسافرون بعده إلى الغرب ومن الذين كتبوا سيرتهم في القرن التاسع عشر "علي مبارك" سنة 1889 ضمن كتاب (الخطط التوفيقية).

¹فيليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ ، ص 10.

²تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي (فدوى طوقان، جبرا إبراهيم جبرا، إحسان عباس نموذجاً)، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002، ص 67.

وتعد رائعة "طه حسين" (الأيام) أول نص في الأدب العربي يمثل لمقومات فن السيرة الذاتية كفن روائي، وأكد ذلك "إحسان عباس" وتوفرت على مزايا عديدة أهمها: ((الطريقة البارعة في القص والأسلوب الجميل والعاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحيانا حتى تغطي على السطح وتلك اللمسات الفنية... والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جاء حتى تظهر وكأنها غير مقصودة)).¹

((يتميز كتاب (الأيام) بالتسلسل التاريخي وقدرة "طه حسين" على تصوير البيئة المحيطة بهذه الشخصية مما يعطي لهذا العمل طابعا روائيا أكثر منه سرديا تاريخيا)).² ونتيجة لقيمة هذا النص وقوة أثره تتالت من بعده كتب السيرة الذاتية فكتب "عباس محمود العقاد" (أنا)، "أحمد السباعي" (أيامي)، "أحمد أمين" (حياتي) و"السيد قطب" (طفل من القرية)، "توفيق الحكيم" (عصفور من الشرق) و (سجن العمر) و"الطاهر بن جلون" (في الطفولة).

ولذا فقيمة نص طه حسين ظاهرة في كونه نموذجا تأسيسا لنمط السرد الذاتي بمدلوله الفني في الأدب العربي الحديث، حيث كان له أثر فيما تلاه من نصوص ومحاولات، في مثته (الأيام) فكرة محورية تتكرر كثيرا إلى درجة يمكن عدّها ثابتا من الثوابت النفسية في شخصية "طه حسين" وهي إحساسه بعلو ذاته واعتزازه بقدراته في مقابل النظرة الاحتقارية التي يعامله بها المجتمع من حوله.

نظرا لإعاقته البيولوجية (العمى)، إنّ هذا الثابت النفسي ضروري لفهم الكثير من المواقف المثقلة بحسن التحدي، إضافة إلى "تجيب محفوظ" الذي جعل سيرته الذاتية على شكل قصص مفعمة بالعمق والذاتية وذلك من خلال محيطه المصري وغيرهم.

((اهتم النقد الأدبي العربي الحديث بالسيرة وفنها وتقنياتها وبالنظر في تماهيا مع المبدعات الأدبية الأخرى في الشعر والقصة والرواية والمسرحية وربما كان كتاب "إحسان

¹ إحسان عباس: فن السيرة، دارصادر، دار الشروق عمان، ط1، 1996، ص 131.

² خالد الكركي: طه حسين روائيا، مكتبة الرائد العلمية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 113

عباس " فن السيرة " 1956 هو أول المؤلفات العلمية والمندمجة تأليفا يتواصل مع نظرية فن السيرة وتواصلها مع تطوراتها في الغرب إزاء تصنيف السيرة الذاتية والعناية بالدوافع العقلانية والعاطفية ومستوياتها السردية مثل كتاب "جورج ماي" السيرة الذاتية، وبرز هذا المجال تحليل فن السيرة عند "طه حسين" في العديد من المؤلفات مثل ((سيرة الغائب، سيرة الآني))

السيرة الذاتية في كتاب الأيام "لطه حسين" 1992 لمؤلفه "شكري المبخوت" و((العمى والسيرة الذاتية دراسة في كتاب الأيام لطه حسين)) 2001 لمؤلفه "فدوى مالطي دوغلاش"¹ وتنامي البحث في فن السيرة والتماهي السيري في مؤلفات أخرى، وفي مقدمتها كتاب "خليل الشيخ" ((السيرة والمتخيل، قراءات في نماذج عربية معاصرة (2004) وعالجها في عدد من المبدعات مثل (مرايا) "نجيب محفوظ" (البئر الأولى) "لجبرا إبراهيم جبرا"، و((لماذا تركت الحصان وحيدا)) "لمحمود درويش"، و ((غربة الراعي)) "إحسان عباس" وبعض مؤلفات توفيق الحكيم ... الخ .

عني "الشيخ" في كتابه((بالكشف عن العلاقة الحميمة التي ربطت بين السيرة وصاحبها فقد ظلت السيرة الذاتية لهؤلاء رحما دافئا وبيتا أليفا إليه كلما بهظتهم الحياة وأنقلت كاهلهم))²

ويأتي كتاب "محمد صابر عبيد" ((تمظهرات التشكل السير الذاتي قراءة في تجربة القيسي السيرذاتية)) (2005) تعميقا لنظرية فن السيرة الذاتية في تطبيقها على مجموعات شعرية ونثرية كما نجده درس السيرة الذاتية الشعرية لأربعة تجارب وهي:³

1- حياتي في الشعر لصلاح عبد الصبور .

¹ عبد الله أبو هيف: تمظهرات التشكل السير الذاتي...تحليل نصي لتجربة محمد القيسي، صحيفة تشرين، 2013/03/16.

² عبد الله أبو هيف: تمظهرات التشكل السير الذاتي، ص 12.

³ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية ((قراءة في التجربة الشعرية لشعراء الحداثة العربية))، عالم الكتب الحديث العراق، الشارقة الامارات، 1999 ، ص 34

2- تجربتي الشعرية لعبد الوهاب البياتي.

3- قصتي مع الشعر لنزار قباني.

4- الكشف عن أسرار القصيدة لحמיד سعيد.

هذه النماذج عن السيرة الذاتية في العصر الحديث عند العرب، وشاعرنا "نزار قباني" من خلال كتابه هو موضوع بحثنا.

أما إذا تحدثنا عن حوافز السيرة الذاتية فنجدها إما تبريرية والرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة والتخفيف من ثورة وانفعال وتصوير الحياة المثالية والفكرية والرغبة في استرجاع الذكريات.

ثالثاً: التماس الفني بين الرواية والتاريخ والسيرة الذاتية

1- السيرة والرواية:

يشكل التماس بين الفنيين المتشابهين في المظهر المختلفين في الجوهر ((السيرة والرواية)) إشكالية معرفية سببها التشابه الظاهري والتداخل في معنى المسمى غير المصطلحي فكل منهما ينطوي تحت المسمى المشتق من الفعل العربي، فيما يعني القص والتتبع في الثقافة العربية، وسبب التداخل الذي جعل هذين النوعين من فن القص بشكل عام - متشابهين هو القص العربي المنقول من الماضي بالرواية المنحدرة من الفعل العربي (روى) وفاعلها (راوي)، والراوي في أساس الفعل (الناقل للماء)، والرواية في المصطلح العربي القديم تعني النقل من الماضي وتعتمد في الكثير من الأحيان على مقتطفات من سير الأبطال والمشاهير من طبقات المجتمع، ورواية الحديث الرئيسي والذكريات مما ي صاحبها من الأحداث ولكنها تختلف في المصطلح العالمي الحديث للرواية باعتبارها فنا قائماً بذاته اصطلاح عليه باسم Novel في مقابل القصة الطويلة أو الحكاية ... وكل هذه المصطلحات تحت مسمى القصة بالمفهوم العام لكن الرواية تختلف عن بقية أنواع القص (fiction) تعنى بربط الحدث الماضي في تصوير مستقبلي ويستعين الروائي بالماضي في

بناء روائي له مقومات تختلف عن مقومات السيرة وبقية الفنون القولية في نقل الأحداث وتوظيفه التوظيف المناسب في رؤيا استشرافية لما يتخيله الروائي بناء على معطيات الحاضر، وهذا لم يتوفر إلا لمن وهب ملكه السرد واستطاع أن يفرق بين فنونه المتعددة بناء على ثقافة معرفية هذه الفروع السردية.

وبالرغم من التماس الفني بين الرواية والسيرة فيما تقتضيه الضرورة الفنية للبناء الروائي فإن هناك حدودا واضحة المعالم في الرواية الحديثة ذات البناء الفني ومنها:

وجود الراوي ((الكاتب)) والراوي والبطل والشخصيات المساعدة في تنامي العمل الروائي وهي شخصيات متمامية متطورة بجانب البطل المتخيل، لا يمكنه العمل بدونها إضافة إلى الأحداث المتمامية والمتقاطعة في آن واحد ويمكن توظيف العلوم والأساطير والأحداث التاريخية.

أما السيرة فيوجد فيها الكاتب وهو ليس روائيا بل نجد الكاتب هو الراوي وهو البطل وهو حقيقي لا متخيل والشخصيات غير متمامية والأحداث جاهزة تروى بطريقة السرد التاريخي إذن الراوي هو الكاتب في ذات الوقت مع وجود البطل ولكنه بطل من نوع آخر. والسيرة تختزل هذه الثلاثية إلى واحد ((وبهذا تكون السيرة أحادية الشخصية وحقائقها مكشوفة ومجردة وشخصياتها موظفة توظيفا مؤقتا سرعان ما تحترق بنهاية دورها فهي ذات أجور محددة والزمن في الرواية متصاعد باتجاه قمة الحدث ((العقدة)) بينما في السيرة أفقي مستمر والحدث في الرواية قابل لتوليد أحداثه مرادفة ومساعدة للحدث الرئيسي، بينما الحدث في السيرة خاص بصاحبه لا يختلف عن الحكاية الشعبية والمواقف اليومية والرمز والفلسفة والأسطورة قابلة للتطور في الرواية ولا وجود لها في السيرة وإن وجدت فليس لها توظيف، لكن هذه الفنون النثرية لا تستغني بعضها عن بعض مع عدم تطابقها فالرواية تأخذ

من كل شيء لكنها لا تعطي شيء فلا يمكن أن تكون الرواية سيرة ذاتية ولا السيرة يمكن أن تكون رواية ((¹.

ومن خلال هذا التماس تظهر مشكلة أخرى وهي ((رواية السيرة الذاتية)) إذ يصعب الوصول إلى حد مانع لها لكون هذا الجنس الأدبي حديثا نسبيا بل لعله أحدث الأجناس الأدبية على الإطلاق.

والواقع أن صعوبة ذلك لا تكمن في حداثة نشأة رواية السيرة الذاتية، إنما تكمن في مرونة هذا الجنس الأدبي وضعف الحدود الفاصلة بينه وبين الأجناس الأدبية الأخرى مما يجعله قادرا على التجوال داخلها بحرية.

ومن التعريفات السائدة لرواية السيرة الذاتية نذكر: ((إنها حكي استعادي نثري يتسم بالتماسك والتسلسل في سرد الأحداث، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة ويشترط فيه أن يصرح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر أن ما يكتبه هو سيرة ذاتية))².
((ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستشف جملة من المقومات التي تعد دعائم فن السيرة الذاتية وهي:

- 1-إن السارد / الحاكي والشخصية يطابقان المؤلف في السيرة الذاتية.
- 2-ينقل المؤلف في حاضره تجربته التي عاشها في الماضي وبهذا انتقدوا السيرة الذاتية استرجاعا لما انصرم من أمور ووقائع.
- 3-يستند المؤلف في النقل إلى ملكة التخيل والتذكر لأنه عندما يكتب سيرته يعتمد أساسا على ما تختزنه ذاكرته من حوادث الماضي الفائت.

¹ سلطان القحطاني: التماس الفني بين السيرة والرواية، مقال منتديات زهران الأدبي.

12/04/2013. <http://www.Zahrana.org/vb/section9 13:34>.

² قحطان بير قدار: رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل (تمهيد ومحاولة تعريف) دراسات ومقالات .

16/03/2013. <http://www.majales.alukah.net/literature.language>. 13:48.

4- يستعمل المؤلف عنصر اللغة في نقل مجريات الماضي وهي لغة نثرية حكاية وللعمل السيرذاتي بلا ريب. مقاصد وأهداف محددة يروم تحقيقها ومنها بغية الكاتب تخليد نفسه¹.

2- السيرة الذاتية والتاريخ:

إنّ بين أدب السيرة الذاتية والتاريخ صلة وثيقة، ذلك لأنهما يشتركان في عرض الأحداث والمواقف، وفي تصوير مختلف البيئات والمآثر والكشف عن الصور المادية والنفسية، وإذا كانت السيرة الذاتية تتبع من صلب الأدب بخلاف التاريخ الموسوم بالطابع العلميّ، فهذا لا يعني أن الحس التاريخي منعدم في كتابة التاريخ الخاص الفردي، بل إنّهُ على العكس حاضر بأبعاده الثلاثة المتمثلة في الماضي والحاضر والمستقبل. ((والظاهر لأول وهلة أن السيرة الذاتية تتخذ موقعا وسطا بين الأدب والتاريخ، لكننا إذا أمعنا النظر أكثر في طبيعة هذا الجنس الأدبي، خلصنا إلى تعبير دقيق عميق من حيث حمولته الدلالية، وهو أن هذا اللون من التعبير تتجاوزه سلطتان أو قوتان: سلطة الأدب وقوة التاريخ، لأنّ الكاتب يصوغ تاريخه الخاص صياغة أدبية.

ونتيجة لواقع التجاوب بين الأدب والتاريخ المتعارف عليه بين الأدباء بالحق الأدبي والحق التاريخي تميز جنس السيرة الذاتية عن باقي جسد التاريخ العام، مع العلم بأن الأصل في التاريخ الإنسانيّ هو مجموع التواريخ الخاصة سواء الفردية منها أم الجماعية وهذا يعني أن أي سيرة ذاتية هي واقع تاريخي في حد ذاتها، أما الاصطلاح على أن السيرة الذاتية جنس أدبي، فهو تعريف مبدئي لا ينفي حضور التاريخ في قلب أي أدب خاص، مهما بلغت فيه درجة الذاتية، فكاتب السيرة الذاتية يجد نفسه مشبعا بالحس التاريخي حيث يسرد قصة حياته وهذه حقيقة لا تعرف في قاعدتها استثناء أي جنس أدبي، ومن الصعب جدا في غياب

¹فريد أمعشوشو: حدود التقارب بين الروائي والسيرذاتي في الأدب المغربي الحديث "الزاوية نموذجا"

18/03/2013. <http://www.dorob.com/archives/?p=35680>. 20:43.

تعريف يحدد ماهية السيرة الذاتية ويميز بين ما ينتمي إليها أولا أن نتصور تاريخا خاصا بهذا الجنس الأدبي¹.

إن للتاريخ مرونة تؤهله لأن يظل فضاء رحبا يتسع لكل نشاط إبداعي، وكائنا نابضا في عمق الأدب بوجه عام وأكثر إثارة في أجواء التاريخ الفردي باعتباره نواة أدبية فاعلة سواء في الكتابة النثرية أم الشعرية، ومما لا شك فيه هو أن أصداء التاريخ الخاص تتردد بدرجات متفاوتة في جميع الإنتاجات الأدبية وهذا دليل على كون الذاتية قوة دافعة وعلّة باعثة على الانخراط في العملية الإبداعية، ثم إن الفصل والتميز بين الحياة الخاصة الفردية والعامّة يظل أمرا نظريا إذ يتعذر على الإنسان أن يعزل حياته بعيدا عن التاريخ العام حتى وإن عمر مدة وجيزة على وجع الأرض.

((إن الإحساس بالتاريخ والوعي بقيمته يمثلان فنين وحدتهما باعنا طبيعيا لصاحب السيرة الذاتية على ضبط أهم المنعطقات والتحوّلات الحاسمة والدالة في حياته. فالسيرة الذاتية أكثر نبضا من التاريخ بالحياة والتجارب الفردية، بحكم محورية الذات الفردية في هذا اللون من التعبير من جهة وثانوية الأحداث من جهة ثانية ومن السهل أن نتنبه إلى كون التاريخ أحد وجوه فنية هذا الجنس الأدبي.

ثم إن كاتب السيرة الذاتية يستدعي أحداثا وجملّة وقائع سالفة بوعي ومهارة يرسمها برؤاه وتصوراتهِ في الزمن الحاضر، معتبرا في ذات الوقت الأهمية البالغة للماضي وقد يكون من أهم أهداف صاحب السيرة الذاتية توثيق التاريخ ولكن الأهم لديه هو أن يترك أثرا أدبيا يخلد ذكره من بعد موته².

وإذا كان التاريخ يجري وراء الحقيقة باحثا ومحصا ثم مبدد لأي غموض في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، فالسيرة الذاتية تقتفي أثر الحياة في ذات الإنسان ولذلك كانت ولا

¹ عبد الفتاح أفكوك، أبوشامة المغربي، أدب السيرة الذاتية، السلسلة الأولى من مقالاتي النقدية، ملتقى رابطة الواحة الثقافية.

http://www.rabitat.alwaha.com/moltqa/show_thread.thp?t=26384 18:35.16/12/2012.

² عبد الفتاح أفكوك، أبو شامة المغربي، ص 21.

تزال أكثر احتقالا بالأدب الذاتي من كل ألوان التاريخ حتى إن التاريخ يعبر عن مدى غنى الحياة الداخلية للإنسان أكثر مما يعبر عن المسافة الزمنية التي يقطعها من المهد إلى اللحد وإن كان الكائن البشري يدرك جيدا أن ذاته اليوم ليست ذاته بالأمس وأن مجرى تنامي وتطور إحساسه الداخلي غير قابل لأي تحديد.

((إن ليس من الإسراف أو الخلط أن نتفق مع الرأي القائل بأن السيرة الذاتية هي ملتقى الحق الأدبي والحق التاريخ، لأن هذا اللون من التعبير الأدبي يعد بالفعل خاضعا لمادة تاريخية غنية بإمكانها أن تسهم بحظ كبير في كتابة تاريخ مرحلة معينة، وفي نفس الوقت هو لون أدبي يستمد قوته من العناصر والمكونات الأدبية حتى إن البعض أفصح عن ميله إلى جعل أدب السيرة الذاتية قسمين رئيسيين هما: السيرة الذاتية الأدبية، السيرة الذاتية التاريخية)).¹

¹ عبد الفتاح أفكوك، أبو شامة المغربي، ص 22.

رابعاً: العوامل الوسيطة للسيرة الذاتية.

((يمكننا إن نقول قياساً أن كاتب السيرة الذاتية كمرسل ومستقبل في الوقت نفسه يتأثر

بالعوامل الوسيطة في كتابة سيرته الاعترافية وهذه العوامل هي:

- استعدادات الفرد السابقة.
- الجماعات التي ينتمي إليها.
- نقل مضمون وسائل الإعلام عن طريق الاتصال المباشر.
- ممارسة قيادة الرأي.
- طبيعة وسائل الإعلام¹.

وهذه العوامل نفسها التي تؤثر في أدب السيرة الذاتية إذ يتضح أثر الاستعدادات السابقة وعمليات انتقاء التعرض والإدراك والذاكرة المتصلة بها فقد أظهرت الأبحاث الإعلامية صدق هذا الغرض بالقياس إلى المتلقي حيث يعرض نفسه لوسائل الإعلام التي تقول ما يتفق مع اتجاهاته السابقة واهتماماته ويتجنب شعورياً أو لا شعورياً المعلومات التي لا تتفق مع آرائه، وهو الشيء نفسه الذي ثبتت صحته بتحليل مضمون السيرة الذاتية إذ نجد كتابها قد ينسون أو يتناسون ما لا يتفق مع آرائهم والعكس صحيح، ذلك أن انتقاء التعرف والإدراك والتذكر مما يعيش الفرد على حماية معتقداته .

خامساً : خصائص السيرة الذاتية.

تطور فن السيرة الذاتية في العصر الحديث وفي الثلث الثاني من القرن العشرين بالجنوح إلى عرض الأخبار في حلة أنيقة وإيلائها الاهتمام بالتحليل على العكس مما كانت عليه من قبل من الاقتصار على سرد الأخبار فحسب.

وانطلاقاً من الحدود التي وضعها "فيليب لوجون" لتحديد السيرة الذاتية والتي نبينها

كالآتي:

¹ جيهان أحمد رشتي: الأسس العملية لنظريات الاعلام، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص 547.

- 1- شكل اللغة: السيرة الذاتية هي قصة نثرية.
- 2- الموضوع المطروق: تروي حياة فردية وتاريخ شخصية معينة.
- 3- موقع المؤلف: لابد من التطابق بين المؤلف والسارد.
- 4- تطور الحكى: باعتباره حكيا استعاديا ضروريا.
- 5- حول دراسة الأدب إلى ما يشبه المعادلات العلمية الصارمة تنفي الاختلاف والتنوع والفرضيات الممكنة وتطورها المرونة اللازمة التي يجب أن تنظر إلى الإبداع الأدبي على أنه متطور وغير قار.¹

ومن خلال هذه الحدود نستشف منها الخصائص الدلالية والفنية والجمالية للسيرة الذاتية
بحيث:

نجدها تركز على الذات واحترام ضمير المتكلم والمطابقة العلمية والتأرجح بين المسوغ الذاتي "الحياة الفردية والشخصية" والاستقراء الخارجي "استقراء أحداث الواقع" ويتمثل النثر الكتابة السردية المحكية طريقة في التعبير.

((وقد تحدث "يحي إبراهيم عبد الدايم" عن أهم ملامح السيرة الذاتية العربية الحديثة وخصائصها الحديثة في هذه النقاط:

- 1- أساليب التعبير.
- 2- الكشف عن الغاية.
- 3- الكشف عن أثر الوراثة والبيئة.
- 4- تصوير مرحلة الطفولة.
- 5- الصدق والتجرد والصرامة.
- 6- تصوير الصراع.
- 7- تصوير فترات زمنية متفاوتة.

¹فيليب لوجون: السيرة الذاتية والتاريخ، ص 22

8- دلالة الأسلوب على شخصية كاتبه.¹

وبهذا يمكن أن نجمل خصائص السيرة في العصر الحديث بهذا الشكل:

- 1- عرض الأحداث وفق تسلسلها في الزمن اعتمادا على المصادر القديمة.
- 2- نقد الأخبار بعرضها على المنطق وبلاستناد على حجج متينة.
- 3- عرض الروايات وترجيح بعضها على بعض إن توفرت الأدلة الكافية.
- 4- الاعتماد على التحليل النفسي لتفسير المواقف والتصرفات واستنباط الأحكام.
- 5- ربط تصرفات أشخاص السيرة بمحيطهم الاجتماعي والسياسي والديني لاستنتاج التأثير والتأثير.
- 6- اعتماد النمط القصصي الذي يغلب عليه أسلوب السرد والذي يتخلله في بعض الأحيان القليلة حوار موجز.

7- تحري الموضوعية وتغليب العقل على العاطفة²

سادسا: أشكال السيرة الذاتية في النثر.

1- السيرة الذاتية:

((الشكل الأهم والأخطر من شكلي السيرة يتكفل في الراوي السيرذاتي رواية أحداث حياته ويجري التركيز فيها على المجال الذي تتميز في شخصيته الحيوية مثل الفني أو الاجتماعي ويسعى في ذلك إلى انتخاب حلقات معينة مركزة من سيرة هذه الحياة.

وحشدها بأسلوبه خاصة تضمن له صناعة نص سردي متكامل ذا مضمون مقنع ومثير ومسل، ويحاول الراوي السيرذاتي الإفادة من الآليات السردية لتطوير نصه السيرذاتي ودعمه ما أمكن بأفضل الشروط الفنية على أن لا تخل بالطابع السيرذاتي العام حتى لا يخرج

¹ يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1975، ص 133-153.

² الترجمة في العصر الحديث، خصائص السيرة والترجمة.

www.onef.edu.dz/3oss/.....f322.LA1N2.pdf

النص إلى فن سردي آخر، ولا يشترط في الراوي الاعتماد على ضمير المتكلم بل يستعين بالضمائر الأخرى وترتكز السيرة الذاتية على آلية السرد الاسترجاعي التي تقوم بتفعيل عمل الذاكرة وشحنها بطاقة استنهاض حرة ساخنة لمخزونها الذاكراتي المرشح للعمل في الحقل السيرذاتي¹.

2- السيرة الذاتية الشعرية:

سرد نثري يتولى فيه الشاعر تدوين سيرته الشعرية فقط تاريخا ومكانا وحادثة لا يخرج فيها إلى تناول جوانب أخرى غير شعرية من سيرته إلا على النحو الذي له صلة ما يدعم قضيته الشعرية في السيرة.

وتكتب هذه السيرة عادة في مرحلة يتوجب أن تكون ناضجة من مراحل التطور الحيوي والشعري للشاعر، بحيث يحتاج لها المجال السيري للحديث عن محطات غنية وخصبة في تجربته الشعرية، يعطي فيه صورة عن تاريخه الشعري وجغرافيته الشعرية وموقعه في خارطة العصر الشعرية².

((وتتنوع التسميات التي يطلقها الشعراء على هذا النوع من السيرة، فمنهم من يسميها "تجربتي الشعرية"، أو "قصتي مع الشعر" أو "حياتي في الشعر" أو "حكايتي مع الشعر" ومنهم من يتحدث داخل الفضاء السير ذاتي الشعري العام عن مرحلة معينة من مراحل السيرة يعتقد بأهميتها وتمثيلها لتجربة كاملة، ومنهم من يتحدث عن التجربة كاملة على نحو يتضمن البدايات والمرجعيات ومراحل التطور والنضج ومنهم من يكتفي بالحديث عن قصائد بعينها في ما يمكن أن ندعوه ضمن هذا الإطار سيرة ذاتية للقصيدة.

وغالبا ما يأخذ الشاعر في سرده السيرذاتي الشعري حريته في تدوين ما يصلح لإعلاء شأن تجربته والدفاع عن أنموذجه وفي اختيار التقانات الأسلوبية الخاصة لاستخدام لغة سرد عالية الدقة والتعبير في مستوى تدليلها وفي انكشافها على جماليات تعبيرية لا تكتفي بتدوين

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية العشرية " قراءة في التجربة الشعرية شعراء الحداثة العربية "، ص 124.

² المرجع نفسه، ص 124.

التجربة الشعرية وتسجيل مناطق كونها الشعري بل تخرج إلى انجاز نص إبداعي خلاق مزدوج الأهمية بالنسبة للشاعر والمتلقي.¹

3- السيرة الذاتية القصصية:

سرد نثري سيرذاتي يعتمد فيه القاص إلى تسجيل سيرة ذاتية خاصة بتجربته القصصية في مرحلة يعتقد أنه وصل فيها إلى درجة معقولة من النضج والشهرة.²

4- السيرة الذاتية الروائية:

سرد نثري سيرذاتي يتوجه فيه الراوي إلى تقويم سيرتي لتجربة الروائية يشتمل على نقل حكايته مع الرواية والكتابة الروائية إلى القارئ.

ونذكر أيضا: "السيرة الذاتية النقدية، القصة السيرذاتية، الرواية السيرذاتية، التجربة الذاتية، قصة التجربة الذاتية، رواية التجربة الذاتية، الشهادات الذاتية الأدبية، الخاطرة الذاتية، السيرة الغيرية، السيرة الغيرية القصصية والروائية والنقدية، القصة السيرالغيرية والرواية السيرالغيرية، التجربة الغيرية، قصة التجربة الغيرية، الاعترافات، المذكرات اليومية وغيرهم".³

سابعا: السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.

لقد تم الإشارة إلى السيرة الذاتية الشعرية في الأشكال المذكورة سابقا ولكن الإشكال هناك من النقد من ينفي ولا يعترف بهذا النوع ويرجح أن تكون السيرة الشعرية الذاتية أي تكون على شكل قصيدة تعكس لنا سيرة الشاعر الذاتية.

ومن هؤلاء الدكتور "حاتم محمد الصكر" بحيث يقول حول هذا موضعا: ((تحظى كتابة السير الذاتية بعناية متزايدة تشجع أجواء الانفتاح الثقافي والأفق الذي تدخله المجتمعات العربية في فضاء من الحرية المنزعة وتتنوع كفاءاتها وتتوسع متمددة لفنون

¹ محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، لمرجع نفسه، ص124.

² المرجع نفسه ، ص 124.

³ المرجع نفسه، ص141.

مجاورة، فتغدو السيرة الشعرية - الذاتية - نوعاً ممكناً تستطيع القراءات النقدية أن تتقصاها، وتضع لها قواعد نظرية وجماليات قراءة تستجلي صلتها بالسيرة كفن نثري وبالشعر عبر القصيدة ذات الأعراف المستقرة والمستقلة، وهذا شأن السيرة الذاتية النثرية فهي جامع نصي تلتقي في هيكله فنون مختلفة كالتاريخ والرواية والمقالة... وبذلك راحت القراءات تلاحق ما يند من كسر سيرته في القصائد وتستعين بتمظهراتها الفنية وتجسدها النصية لرؤية ما تعطي للقصيدة من طاقة السرد وما تأخذ من شعرياتها إيقاعاً وموضوعاً¹.

ويواصل حديثه على الدكتور الناقد "محمد صابر عبيد" واتهمه بأن هذا المصطلح يخلق بلبلة في اصطلاحية في الساحة النقدية الحديثة بحيث يقول: ((لكن دراسة الناقد الأكاديمي "محمد صابر عبيد" "السيرة الذاتية الشعرية - قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية-" توهمنا بتأمل اللحظة الشعرية التي تدخل فيها السيرة الذاتية حقلاً جديداً كما جرى في السيرة الروائية مثلاً حين راح الروائيون ينصصون أجزاء من سيرتهم ضمن الشكل الروائي وأتاحوا لتلك السير أن تأخذ بنية الرواية وشكلها ولكن بتعاقد واضح مع القارئ²)).

((بأن الواقعة والفعل السردي والحدث لها ارتباط بالمعيش المباشر لكاتبها وعائديتها إليه ككائن سيرى تجعل التلقي في أفق متطابق مع موجهاتها، لكن الدراسة تتجه فحص تفوهات الشعراء حول نصوصه وفهمهم للقصيدة ورؤيتهم لتجاربهم الشعرية تحت مسمى السير الشعرية الذاتية وهو نوع مختلف يظل على حافة النقد وهوامشه، لأن الأعمال التي يقدمها الشعراء عن نصوصه وتجاربهم لا تمنح القارئ فرصة التعرف على سيرة ذاتية ضمن الشعر نفسه، لنشهد كيفية استيعاب القصيدة للتجارب الحياتية وما عاشه الشاعر وعلق في ذاكرته وتشكل في وعيه وما أضاف خياله لتنبثق لدينا قصيدة سيرة ذاتية، أما دراسات

¹حاتم محمد الصكر، السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.

23/12/2012. <http://www.alittihad.ae/columns/details.php>? 21:29.

²حاتم محمد الصكر، السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.

كتابات الشعراء حول تجاربهم وإطلاق مصطلح السيرة الذاتية الشعرية عليه فهو يضيف بلبلية اصطلاحية إلى ما يشهده النقد الحديث من تكاثر اصطلاحي أو تكثير تفريعي¹

ويستدل على أقواله بالأشكال التي ذكرها "صابر عبيد" في كتابه بحيث يقول: ((السيرة الشعرية الذاتية تترحل كما في كتاب الدكتور "محمد صابر العبيد" من داخل النص ومن النوع السيري: سيرة ذاتية نثرية، سيرة روائية، سيرة شعرية وربما مسرحية كذلك لتكون مسمى لما يكتب الشاعر من أعماله وتكون شخصيته الشعرية وهي ضرب من سيرة ثقافية تناول بعض الشعراء منها المؤثرات التي شكلت تجاربهم وما تفاعلوا معه من عوامل وتيارات وما شهدوا من أحداث تحسها وعيهم وانعكست في شعرهم .))²

ويختتم قوله حول هذا الموضوع قائلا: ((ولا أجد السيرة الذاتية تستفيد من دراسة ما قدم الشعراء تحت عناوين مثل "تجربة الشعرية" أو "حياتي في الشعر" كما أن النصوص الشعرية لا تهتم بتلك الشهادات كثيرا فضلا عن كونها تابعة لها ومتأخرة عنها، وليست بالصدق والموضوعية والحيادية التي تتطلبها السير والشهادات والمذكرات وسواها من تنويعات الكتابة السيرة الذاتية المعروفة))³

كان هذا رأي الدكتور "حاتم محمد الصكر" حول السيرة الذاتية والتجربة الشعرية والإشكال الذي تولد حول شكلها وطريقة تسميتها.

والسؤال الجدير بالطرح هنا ما هي أهم العناصر المكونة لفن السيرة الذاتية؟

¹ حاتم محمد الصكر، السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.

أو بالأحرى كيف نعرف إن نصا من النصوص هو سيرة ذاتية؟ وهل الشعراء قدموا سيرهم الذاتية؟ وكيف كانت؟ وهل شاعرنا "نزار قباني" في كتابه الذي صرح بأنه سيرة ذاتية استوفت شروطها؟

كل هذه الأسئلة سيتم رفع اللبس والغموض عنها في الفصل الأول الذي يحمل اسم: تجليات السيرة الذاتية في كتاب ((قصتي مع الشعر)) "نزار قباني".

الفصل الأول

تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر"

لنزار قباني

المبحث الأول: العناصر المنتمية إلى النص السيرذاتي.

المبحث الثاني: العناصر المنتمية لخارج السيرذاتي.

المبحث الثالث: الفضاء السيرذاتي.

تمهيد:

((النص السيرذاتي خطاب شأنه في ذلك شأن أي نص حكائي، فلا بد من أن تكون له قوانينه وحدوده، ويتضمن شعرية الخاصة كما أن أي تحليل للنص السيرذاتي لابد من أن ينطلق من البحث في نظام اشتغال النص وليس من الفروقات الشكلية والمضمونية له، وذلك لتفادي التداخل واللبس مع غيره من الأنواع الأدبية القريبة منه والتي تدخل في خانة الأشكال ذات العائلة الأجنبية الواحدة)).¹

ولتحديد السمات السردية التي تميز السيرة الذاتية عن بقية الأنواع الأدبية ولاسيما الرواية بشكل عام ورواية السيرة الذاتية بشكل خاص" إذ لا فرق بين النوعين من حيث طرائق الكتابة إذا حللنا النصوص تحليلًا داخليًا² وسأتبّع طريقة "فيليب لوجون" في دراسته للسيرة الذاتية، وتكون على الشكل التالي:

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبرا الذاتية في "البئر الأول وشارع الأميرات"، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سنة 2001، ص 07.

² المرجع نفسه، ص 7.

المبحث الأول: العناصر المنتمية الى النص السير ذاتي.

لقد أشار "عبد السلام المسدي" إلى ((أن السيرة ذاتية إنما هي حصيلة امتزاج نوعين من الكتابة: التدوين التاريخي والحكاية الفنية))¹ وانطلاقاً من قوله سأحاول البحث عن العناصر المكونة للنص السير ذاتي وتطبيق ذلك على الكتاب المدروس "قصتي مع الشعر" لنزار قباني، وهذا اقتضى مني أن أقسم هذا البحث إلى مطالب وهي:

المطلب الأول: التطابق والميثاق والدوافع.

السيرة الذاتية فن زبقي يصعب ضبطه، أو تصنيفه، وهذا ناجم عن تعدد أشكاله، وتنوع أساليبه، فهو ((فن يرفض التجنيس، ويستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى))² ليصبح التداخل أمراً بديهياً.

وتعد قضية الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية، وتلك الأجناس التي تتداخل معها أمراً تختلف رؤية النقاد حوله، فمنهم من ذهب إلى ضرورة حضور تلك الفواصل، وعدوها إفرازا طبيعياً لطبيعة العصر الذي أنشأ الجنس الأدبي، ومنهم من قال بضرورة القفز عن تلك الفواصل، معتمدين في ذلك على مقوله النص المفتوح .

وأنا هنا لا أحاول القفز على هذه الفواصل، بل كشفها وتوضيحها وهي كالتالي:

الفرع الأول: التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية المركزية.

لقد كان " فيليب لوجون" في كتاباته السابقة من وضع حدا للسيرة الذاتية وهو الذي يجعلها عبارة: ((عن حكي استعاديّ نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته))³.

¹ عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، منشورات دار أمية، دار العهد الجديد المطبعة العربية، تونس، ط2، السنة 1989، ص 15.

² رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم: دراسة تحليلية نقدية سامر صدقي، محمد مرسي، رسالة ماجستير اشراف د . عادل أبو عمشة، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2010، ص 12.

³ فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص 08.

((وهذا الحد يعرض لنا عناصر تنتمي الى أربعة أصناف مختلفة وهي:

1- شكل اللغة: "حكي، نثري".

2- الموضوع المطروق: حياة فردية وتاريخ شخصية معينة.

3- وضعية المؤلف: تطابق المؤلف " الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية " والسارد.

4- وضعية السارد: " تطابق السارد والشخصية الرئيسية، منظور استعادي للحكي))¹

ويؤخذ مفهوم التطابق عند " لوجون" بعدا إجرائيا حاسما إذ يشكل أحد الشرطين الأساسيين في السيرة الذاتية الذين لا يمكن الإخلال بهما أو حتى بإحدهما إذا ما أردنا التمييز الدقيق بينهما وبين غيرهما من الأنواع الأدبية.

ولكي تكون هناك سيرة ذاتية لابد من تتطابق في المتلفظ السير ذاتي ثلاثة أنواع من الأنا:

1- أنا المؤلف الحقيقي: وهو الذي يقف وراء عمله بحكم وصف السيرة الذاتية.

2- أنا السارد: وهو المنبثق من الحاضر.

3- أنا الكائن السيرذاتي: وهو الذي يعود الى الكائن السيري.

((إن البحث عن التطابق بين هذه الأركان الثلاثة في النص السيرذاتي لا يخلو من بعض الإشكالات سواء كان ذلك على المستوى النظري، كأن يعتقد البعض أن التأكيد، على ضرورة تحقيق التطابق يسهل إمكانية منح قاعدة نصية عامة للسيرة الذاتية أو على مستوى

التطبيق الذي يدور حول شكل الضمير النحوي الموظف داخل النص السيرذاتي))²

((ولتفادي هذا الإشكال علينا أن نميز داخل مفهوم التطابق هنا بين مقياسين مختلفين

هما: مقياس الضمير النحوي الذي يعود الى الشخص، ومقياس تطابق الأشخاص الذي يدلنا عليهم الضمير النحوي))³

¹ فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي ، ص 22-23.

² خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية في "البئر الأول وشارع الأميرات"، ص 11.

³ المرجع نفسه، ص 12-13.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

((وللتمييز بين هذين المقياسين سنعمد إلى بحث هذا الموضوع في محورين اثنين هما:

وحدة السارد والشخصية المركزية هي السيرة ووحدة المؤلف والسارد والشخصية المركزية في السيرة.

لا تختلف السيرة الذاتية بوصفها نصا حكايا عن غيرها من الأنواع الأدبية والتعددية واستعمال الضمائر في السرد فهي قد تروى بضمير المتكلم المفرد أو ضمير المخاطب المفرد أو ضمير الغائب المفرد¹

وضمير المتكلم المفرد يهيمن على النص السير ذاتي كونه يحيل على الذات مباشرة ويقلل المسافة الفاصلة بين السارد والشخصية المركزية.

وهكذا فإننا نجد "عبد المالك مرتاض" يورد جملة من الخصائص التي تخص ضمير المتكلم المفرد الذي يتلاءم مع طبيعة النص السير ذاتي وهي:

1-إن هذا الضمير يجعل الحكاية المسرودة مدمجة مع روح المؤلف ويلغي ذلك الحاجز الزمني الموجود بين زمن السرد وزمن السارد.

2-إن ضمير المتكلم يقرب القارئ من العمل السردى ويجعله أكثر التصاقا به، موهما إياه أن المؤلف فعلا هو إحدى الشخصيات التي ينهض عليها النص الحكائي.

3-إن هذا الضمير يحيل على الذات.

4-إن ضمير المتكلم أكثر تحكما من الضمير الغائب في مجاهل النفس²

إن السرد بضمير الغائب وإن كنا لا نلغي وجوده في السيرة الذاتية إلا أنه يتلاءم مع النص الروائي: ((أما الضمير الثالث وهو المخاطب فهو أقل ورودا من النوعين السابقين

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية في "البئر الأولى وشارع الأميرات"، ص12.

² المرجع نفسه، ص 13.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

ولا نكاد نجد له حضورا في السيرة الذاتية العربية لأنه يخلق نوعا من الهوة بين صاحب التلفظ وصاحب الملفوظ الذي يتم التعامل معه بوصفه متقبلا للحكي¹

ويمكن القول إن هذه الخصائص التي يتمتع بها كل من هذه الضمائر هي التي كانت وراء الاعتقاد السائد الى وقت قريب من ((أن السيرة الذاتية هي الرواية القائمة على الصوت المنفرد أي تلك التي تستعمل ضمير المتكلم في السرد))²

وخلاصة الأمر أن قضية التطابق لا يمكن طرحها من جهة اللغة وذلك لأن: ((الضمير النحوي بحسب قول "بنفسست" سواء كان متكلماً أم مخاطباً أم غائباً ليس له من مفهوم خارج وظيفته الإيحالية وأنه بالنتيجة لا يمكن أن يقوم بوصفه معياراً خلافاً للتمييز بين مبنى أدبي وآخر))³

وبعد ملاحظتي من عدم قابلية الضمير النحوي على تحقيق التطابق والحسم في انتماء نص ما الى فن السيرة الذاتية كون الشخص الذي يدل عليه الضمير لا يوجد إلا في داخل الخطاب، فإنه لم يبق أمامي إلا أن أتجاوز الضمير الى عنصر ثاني لا يمكن في غيابه أن نصل الى التطابق بين هذه الأركان الثلاثة ألا وهو اسم العلم (اسم المؤلف) المذكور على غلاف الكتاب فهو ((الاسم الوحيد الذي يتم إعلانه من أجل تحقيق ذات المؤلف وإثباتها، فهو العلامة الوحيدة في النص (خارج النص) لا ريب فيه تحيل الشخص واقعي يطلب بهذه الطريقة أن تنسب إليه في آخر المطاف مسؤولية ولفظ النص المكتوب برمته، إن اسم العلم علامة دالة وهو الإشارة الوحيدة الى وجود المؤلف ... داخل النص))⁴

((إن اسم العلم علامة دالة وهو الإشارة الوحيدة إلى وجود المؤلف... داخل النص))⁵

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية في "البئر الأولى وشارع الأميرات"، ص15.

² حسن بحراوي: أنساق الميثاق الاوطوبيوغرافي، السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا، مجلة آفاق المغرب، العدد 3 - 4، سنة 1984، ص41.

³ المرجع نفسه، ص41.

⁴ عمر محمد الطالب: مفهوم الرواية السيرية، مجلة صوت، نينوى، العدد 1، سنة 1997، ص 20.

⁵ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية في، ص16.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

ومن هنا تتضح أهمية الاسم في النص السيرذاتي المذكور على الغلاف وفي الصفحة الأولى ((فهو العلامة الدالة الوحيدة على وجود كائن اجتماعي يمتحن الكتابة ويضطلع بمسؤولية ما يقال أدبيا وقانونيا))¹

ويذكر "حسن بحراوي" ترتيبا لأهم الحالات الممكنة للتطابق اعتمادا على مقياس العلاقة الاسمية بين المؤلف والضمير:

1- حالة البطل الذي لا يحمل اسم المؤلف.

2- حالة الذي لا يحمل اي اسم.

3- حالة البطل الذي يحمل اسم المؤلف نفسه، ويكفي وجود هذا التطابق الاسمي بينهما لتقصي كل إمكانية للتخييل ووضعها في الحقل السيرذاتي))²

والمؤكد أنني سأحاول كشف هذه العناصر عند "نزار قباني" في كتابه "قصتي مع الشعر"، بحيث نجده يتخذ المؤلف من ضمير المتكلم "أنا" صوتا سرديا ناطقا بهوم الذات وأحلامها وذكراياتها، فعلى طول المسار السردي لنزار نجد هناك راويا يحكي في الزمن الحاضر ما حدث له في فترة سابقة فهو يقول:

((أنا من أمة تتنفس الشعر... ليس عندي نظرية لشرح الشعر))³

فالضمير الظاهر يدل عليه فيقول مرة أخرى:

((أنا أتلقي الزلزال مستسلما ومدهوشا... يوم ولدت في 21 آذار 1923 في بيت من

بيوت دمشق القديمة))⁴

¹ شكري المبخوت: سيرة الغائب، وسيرة الأنثى، السيرة الذاتية في كتاب الايام لطفه حسين، دار الجنوب للنشر، تونس، سنة 1992، ص14.

² المرجع السابق، ص17.

³ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 16-19.

⁴ المرجع نفسه، ص21-26.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

ويواصل القول: ((أبي توفيق القباني، كان واحدا من أولئك الرجال وبيتنا كان واحدا من تلك البيوت))¹

((في التشكيل العائلي، كنت الولد الثاني بين أربع صبيان وبننت... إنني أشعر حتى اليوم بنوع من الاكتفاء الذاتي... أستطيع أن أغمض عيني، وأستعيد بعد ثلاثين سنة مجلس أبي في صحن الدار...مدرستي الأولى هي " الكلية العلمية الوطنية " في دمشق دخلت إليها في السابعة من عمري وخرجت في الثامنة عشر أحمل شهادة البكالوريا الأولى ... في السنة العاشرة من عمري كنت أبحث عن دور مناسب أعبه... كنت أريد أن يكون لي منزل شعري صغير أرتبه على ذوقي... إنني أبرئ نفسي من جريمة الحب... أنا أقولها بصوت عال عاشق مدمن ومزمن))²

((إن الدونجوانية صفة لا تنطبق علي أبدا: أنا مسافر من نوع آخر... لن أتكلم هنا عن حزينان العسكري أو الحربي... سأتكلم عنه هو حزينان النفسي الذي تفوق آثاره في نظري آثار حزينان العسكري... أنا كنت من الفئة الأخيرة التي أضربت عن الطعام... أنا شاعر وهبت روعي للشيطان والمرأة... أنا المسؤول الأول عن هزيمة حزينان... هذا الضجر الشعري ينتابني كلما فرغت من إصدار مجموع شعرية جديدة))³

إن الذي يعيش الحدث وهو طفل صغير ابن السابعة والثامنة عشر كشاب والذي يسرد الأحداث وهو كهل فرق، بحيث نجد الطفل والشاب عاشا الحدث أما الكهل فهو يسترجع الأحداث العالقة في ذهنه وذاكرته فالحدث المعاش يختلف.

ولما كان الضمير النحوي لا يحل إشكالية التطابق بين السارد والشخصية موضوع الحديث والمؤلف الذي يشهد اسمه الموجود على الغلاف فقد حرص "نزار قباني" على التأكيد بأن ما يكتبه هنا عن قصته مع الشعر بحيث يقول: ((لا أحد يستطيع أن يكون فمي أكثر

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 27-29-35-40-132.

²المرجع نفسه، ص 29-40-132.

³المرجع السابق، ص 147-210-244.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

من فمي... عن هذه الغابة المزروعة في داخلي، سأحدث في هذا الكتاب، قد أنسى بعض الشجر وقد أنسى بعض الورق وقد أنسى أسماء العصافير التي مرت بالغابة أو سكنت فيها ولكني سأحاول قدر الإمكان أن أنقل الغابة إليكم بكل جذورها المبللة، وأزهارها المتوحشة وصراصيرها المغنية¹

إذن من خلال هذا العرض نجد عنصر التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية المركزية في كتاب "نزار قباني" "قصتي مع الشعر" قد توفرت وتطابقت فالمؤلف هو "نزار قباني" والسارد أيضا والشخصية المركزية هو نفسه نزار.

الفرع الثاني: الميثاق السيرذاتي.

((يشكل الميثاق السيري حدا فاصلا بين الأجناس الأدبية إذ يحدد هوية النص إذا ما كان سيرته ذاتية من خلال ماورد في النص ذاته دون الاستعانة بعوامل خارجية لإثبات ذلك فوجوده يحقق التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية مما يضع النص ضمن جنس السيرة الذاتية وتتمثل أهميته في كونه اتفاقا يعقده المؤلف مع القارئ وبموجب هذا الاتفاق يوجه القارئ وتحدد طبيعة قراءته²

((فالميثاق فيما يخص الرواية يندفع للتنامي مع تجربة خيالية ولكنه في السيرة مرفوع بفضل معرفة حقيقة ما حصل للآخرين³

وقد أكد حسن بحراوي على أهمية الميثاق وحدد أنواعه وهي:

1- الميثاق المرجعي: خاص بفنون القول التي يتوخى الكاتب فيها الدقة العلمية والحقيقة التاريخية، ويعمل هذا الميثاق على تحديد حقل الواقع المراد تصويره كما يحدد كيفية ودرجة التشابه الذي يزعمه النص بالواقع، وتدخل السيرة الذاتية في النصوص المرجعية.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 11

²رواية السير الذاتية في أدب توفيق الحكيم، دراسة نقدية تحليلية لسامر صدقي محمد موسى، ص 58.

³خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية، ص 20-23.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

2-الميثاق الروائي: وهذا النوع عماده نفي التطابق بين اسم المؤلف على الغلاف واسم الشخصية في النص وسنده الإقرار بالطابع التخيلي للنص كأن يذكر في عنوان فرعي أن الكتاب رواية.

3-الميثاق السيرذاتي: ويقوم هذا النوع على تلك العقدة التي يبرمها المؤلف مع القارئ لغاية التأكيد على التطابق بين المؤلف والبطل والرجوع بكل شيء إلى الاسم الشخصي المكتوب على الغلاف ((¹ وذلك لأن السيرة الذاتية بحسب "لوجون" إنما " هي طريقة في القراءة بقدر ما هي نمط من الكتابة، وإن تاريخ السيرة الذاتية ليست في النهاية سوى تاريخ طرائق القراءة التي يتعاقد عليها المؤلفون والقراء عبر التاريخ ((² ويمكن الإعلان عن هذا الميثاق بطرائق مختلفة في الإهداء أو العنوان أو المقدمة، أو البيان الختامي أو الأحاديث الصحفية التي تتم في وقت النشر. ويتم ذلك بطريقتين :

1-المعلن: وذلك عندما يتطابق اسم (السارد - الشخصية الرئيسية) داخل السرد مع اسم المؤلف الموجود على غلاف الكتاب وفي الواقع.

2-الضمني: وهو على نوعين:

أ- يرجع بعض المؤلفين الى عناوين لا تترك شكا في أن الضمير النحوي الوارد في النص يعود الى المؤلف.

ب- يظهر في تلك النصوص التي تجعل الراوي يتحدث الى القارئ كما لو كان هو المؤلف نفسه حتى وإن لم يذكر اسمه ((³

ونجد "لوجون" قد ميز بين مصطلحي الميثاق والعقد فقال: ((لقد استهواني مصطلح ميثاق السيرة الذاتية، لأن الميثاق يثير صوراً خرافية مثل الموائيق مع الشياطين التي تغمس

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية، ص23.

² المرجع نفسه، ص23.

³ المرجع السابق، ص22.

فيها ريشتنا في دمناء من أجل بيع الروح، في حين يحيل العقد على دلالة أكثر نثرية أننا عند كاتب شرعي، وإن مصطلح عقد يفترض وجود قواعد صريحة وثابتة ومُعترف بها لاتفاق مشترك بين المؤلفين والقارئ، بحضور الكاتب الشرعي الذي يتم التوقيع عنده على نفس العقد وفي نفس الوقت ((¹.

وإذا أردنا تقصي الميثاق السير ذاتي في كتاب "نزار قباني" نجده في إضاءة الكتاب حيث قال: ((أريد أن أكتب قصتي مع الشعر قبل أن يكتبها أحد غيري...أريد أن أرسم وجهي بيدي إذ لا أحد يستطيع أن يرسم وجهي أحسن مني))².

ويقول ((أريد أن أكشف الستائر عن نفسي بنفسي قبل أن يقتصني النقاد ويفصلوني على هواهم قبل أن يخترعوني من جديد، ومن سوء حظ الشعراء القدامى من أنهم لم يكونوا يمتلكون دفاتر مذكرات أما أنا فهذا دفتر مذكراتي سجلت فيه كل تفاصيل رحلتي في غابات الشعر))³.

ويضيف قائلاً: ((لن يكون هذا الكتاب تاريخاً بالمعنى الأكاديمي للتاريخ، لأن التاريخ هو علم الحوادث الميتة، علم الحوادث التي توقفت عن الفعل والانفعال... لن يكون هذا الكتاب بحثاً جيولوجياً لمادة قصائدي وتربتها وتشكيلها... القصيدة ليست مادة منتهية، ليست زمناً ميتاً إنها جسر ممدود على كل الأزمنة... لن يكون هذا الكتاب درساً يلقي في مدرسة ثانوية أو محاضرة في الجامعة... فليس عندي دروس أعطيها لأحد... ولكني سأذهب مع القراء في نزهة إلى شاطئ البحر، ونقضي هناك عطلة نهاية الأسبوع.... أحدثكم وأنا متمدّد على الرمل عن إخباري وعن أسفاري وعن أشعاري سأحدثكم عن بداياتي وعن هواياتي وعن صديقاتي، سأحدثكم عن أسرتي، وعن داري وعن مدرستي وعن الخلفية العائلية والاجتماعية والثقافية التي تقف وراء شعري... سأحدثكم عن رموني بالورد وعن

¹فيليب لوجون: السيرة الذاتية والتاريخ، ص59.

²نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص9.

³المرجع نفسه، ص9.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

رموني بالحجارة، وعمن عانقوني ومن صلبوني، سأحدثكم عن القصائد التي صنعت مجدي وعن القصائد التي حملت حتفي سأحدثكم عن أصدقائي وعن أعدائي عمّن نثروا في طريقي الزنابق... ومن رفعوا في وجهي البنادق...

ومنذ الآن أقول: إنني أحبهم جميعا حاملي الزنابق والبنادق وأمد لهم يدي مبتسما وشاكرا¹ وبعدها يعلن "نزار قباني" عن طبعة الكتاب عن طريق الميثاق السيرذاتي الصريح المعلن حيث يقول: ((هذا الكتاب سيكون نوعا من السيرة الذاتية.))².

((والسيرة الذاتية تكاد تكون مجهولة في تاريخ أدبنا، الأديب العربي لا يحب السفر في داخل نفسه ولا يحب استعمال المرايا... حديث النفس للنفس في بلادنا مكروه، نحن نفهم المونولوج الداخلي ونعتبره نوعا من الغرور والنرجسية... الشاعر العربي يبقى صامتا بانتظار حفلة تأبينه، فحفلات التأبين هي المناسبة الذهبية التي يجلس فيها النقاد على قبر الشاعر كي يلعبوا الورق... وأنا طبعا لن أسمح لأحد أن يلعب الورق على قبري، لأنني أريد أن أشارك في اللعبة.))³.

((وفي موضع آخر يقول: (ومادام هذا الكتاب كتاب اعترافات فإنني أسجل بدون تردد ... ويضيف وأعترف لكم هنا... وأنا أعترف هنا بكل صدق أنني أكتب كما أسوق سيارتي دون أن أعرف شيء بميكانيكية الكتابة... وأود أن أعترف أن شعري قدمني للناس تقدما خطرا... وأود أن أعترف أنني في أعمالي الأولى ورثت هذه النظرة التجزئية إلى الجنس الثاني.))⁴.

ونجد الميثاق الضمني من خلال العنوان "قصتي مع الشعر"

أما الميثاق المرجعي عندما قال: ((عن هذه الغابة المزروعة في داخلي سأحدث في هذا الكتاب، قد أنسى بعض الشجر، وقد أنسى بعض الورق وقد أنسى أسماء العصافير التي

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص13.

²المرجع نفسه، ص9.

³المرجع السابق، ص94.

⁴المرجع نفسه، ص 132.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

مرت بالغابة وسكنت فيها ولكني سأحاول قدر الإمكان أن أنقل الغابة إليكم بكل جذوعها المبللة أزهارها المتوحشة وصراصيرها المغنية))¹

ومن خلال هذا التوضيح تبين أن الميثاق السيرذاتي متوفر في كتاب "نزار قباني" فقد صرح به وأعلنه من خلال ما أدرجناه من جمل وفي العنوان واستعمال مفردات المذكرات واعترافات إذ لا مجال للتخمين حول طبيعة الكتاب فقد توفر الشرط الثاني وقد أصر "نزار قباني" على الطبيعة السيرذاتية لكتابه فقد كتب تحت عنوانه سيرة ذاتية.

الفرع الثالث: الدوافع.

تتعد الدوافع التي تقود الإنسان الى كتابة السيرة الذاتية فمنها ما يعود إلى أسباب داخلية أو خارجية أو الاثنين معاً، وقد يظهر أن هناك دافعا واحد وراء كتابة السيرة الذاتية، وهذا لا يعني تفرده وإنما يكون هو الغالب والمسيطر على أجزاء السيرة دون إلغاء الدوافع الأخرى، وراء كل سيرة ذاتية حافز يلح إلحاحا على صاحبها أن يسجلها وحين يبلغ هذا الإحساس مستوى من النضج في نفس صاحبه لا يستطيع معه إلا أن يصور ما تردد في نفسه من أصداء الحياة القوية وتجاربها))².

وأول ما يهدف إليه كاتب السيرة الذاتية إيجاد رابطة بينه وبيننا لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله))³ هذا العالم الخاص الذي فيه صاحبه مخزوناً يستحق التدوين، وتجربة ينبغي ألا تطويها صفحات النسيان وقد تكون الرغبة الفطرية في الخلود من أبسط تلك الدوافع))⁴ أو الرغبة في التبرير للدفاع أو الاعتذار والرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة، والتخفيف من الثورة والانفعال أو تصوير الحياة الفكرية))⁵.

¹ نزار قباني: الاعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج7، بيروت- لبنان، ص192.

² رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، ص93.

³ إحسان عباس: فن السيرة، ص94.

⁴ تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص25.

⁵ رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، ص93.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

ولعل في القلق النفسي والاستجابة للهموم الثقال التي تعصف بفكر الأديب دافعا رئيسيا لتدوين السيرة الذاتية وخير دليل كتاب "طه حسين" الذي كان نتاج هبة شنت عليه بعد كتابه "في الشعر الجاهلي" وهي هبة أوجدت لديه رغبة البحث عن دفء الموقد الباطني¹.

((ومن جهة أخرى أن اشباع نزعة (الأنا) من الدوافع وهي تتلاءم وفطرة الإنسان والتجارب العاطفية والروحية من الدوافع ذات الأهمية في تبلور فكرة تدوين السيرة الذاتية ومن عوامل نجاحها وخلودها مثل سارة للعقاد))

ونجد فترات الاضطراب والحرب ومظاهر الاستبداد والثورات أرضا خصبة تنمو فيها السيرة الذاتية وتترعرع، ولا تنسى تحقيق المتعة الفنية الي تتجسد في أسلوب المترجم والتجارب المؤلمة قد تحمل صاحبها على تسجيلها، ورغبة الكفاح من أجل تحقيق الذات² هذه الدوافع بصفة عامة واختصار شديد، وعند العودة إلى الكتاب المسمى " قصتي مع الشعر"لأنتتبع أهم الدوافع الحوافز التي ساهمت في إخراجه الى العالم الخارجي وكشف عنه ونعرضها كالتالي:

1-التعبير عن نفسه بنفسه : " قصته مع الشعر تحديدا"

أراد الشاعر نزار قباني أن يعبر عن قصته مع الشعر بنفسه دون تدخل أي طرف وكسر الوسائط التي تساهم في ذلك، وهو بذلك أراد إلغاء عمل النقاد إذ لم يترك لهم المجال والفرصة لذلك فهو يقول موضحا هذا الدافع.

((أريد أن أكتب قصتي مع الشعر قبل أن يكتبها غيري... أريد أن أرسم وجهي بيدي، إذ لا أحد يستطيع أن يرسم وجهي أحسن مني... أريد أن أكشف الستائر عن نفسي بنفسي قبل أن يقصني النقاد ويفصلوني على هواهم قبل أن يخترعوني من جديد... لا ريد أن أدخل داخل غرفة العمليات وأسلم جسدي الى مباحض الناقلين، قررت أن أظهر على المسرح

¹رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم ، ص96-97.

² المرجع السابق ، ص97.

بشكلي الطبيعي ووجهي الطبيعي وأتوجه الى الجمهور بغير وسطاء وإعلانات حائط وشباك تذاكر، قررت أن أستغني عن خدمات الترجمة والأدلة وأتجول في مدينة الشعر وحدي... لأنني مادمت أملك صوتا فلا حاجة بي لكل أشرطة التسجيل.¹

إذن الشاعر الكبير نزار قباني كان يتطير من النقاد والباحثين وقد كتب سيرته الذاتية وتجربته الشعرية من أجل قطع الطريق عليهم وتخفيف أذاهم عنه أكبر قدر ممكن، بحيث كانت وجهة نظره إذا فارق هذه الدنيا دون أن يكتب سيرته فسيقع في شر مستطير، ذلك أن الآخرين سيتصدون لكتابتها على هواهم سيلعبون أسوأ لعب بها وسيشوهونها، لذلك فوت على الباحثين والنقاد هذه الفرصة وهو بعمله هذا يلغي وظيفة أساسية في الأدب هي وظيفة النقاد والباحثين. ونفهم من خلال أقواله أنه أوصى جمهوره بألا يستمع إلى هؤلاء وبأن يصغي إليه وحده، وفي سيرته الذاتية الشعرية ذكر لنا أهم العناصر التي بلورت تجربته الشعرية وصقلتها نذكر منها:

1- أثر الوراثة والبيئة:

قال الشاعر الراحل بأنه شاعر بالفطرة والوراثة وتبين ذلك في قوله: ((أنا من أمة تتنفس الشعر وتتمشط به وترتديه، كل الأطفال يولدون وفي حليبهم دسم الشعر وكل شباب بلادي يكتبون رسائل حبهم الأولى شعرا ... وكل الأموات في وطني ينامون تحت رخامة عليها بيتان من الشعر... أن يكون الإنسان شاعرا في الوطن العربي ليس معجزة، بل المعجزة أن لا تكون لذلك لا أعتبر كتابي الشعر عملا مجانيا أو طارئا إنني عندما أكتب أخضع لكل قوانين الوراثة والسلالة وأنفذ أوامر التاريخ... هذه اللغة الشامية التي تتغلغل في مفاصل كلماتي تعلمتها في البيت- المظلة الذي حدثكم عنه-... وراثيا في حديقة الأسرة شجرة كبيرة... كبيرة... اسمها أبو خليل القباني أنه عم والدي... كان أنسيكلوبيديا بمئة مجلد... أنا

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر ص 9-10.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

من أسرة تمتن العشق والحب يولد مع أطفال الأسرة كما يولد السكر في التفاحة... كل أفراد الأسرة يحبون حتى الذبح... في تاريخ الأسرة حادثة استشهاد مثيرة سببها العشق))¹

2 - القلق النفسي وما أحدثه حزيران " الألم النفسي".

كان "نزار قباني" في قمة غضبه وثورانه، وهذا تحت تأثير النكسة وما خلفته هزيمة حزيران. فكان الألم النفسي في أوجه وفي ذروته، فتحول الشاعر "نزار قباني" من شاعر الحب والرومانسية إلى شاعر الثورة والوطن وهو يقول عن حزيران: ((لن أتكلم هنا عن حزيران العسكري أو الحربي... حزيران الذي سأتكلم عنه هو حزيران النفسي الذي تفوق آثاره في نظري حزيران العسكري... كل الأشياء المكسورة في الحرب تعوض... وحدها النفس المكسورة لا يمكن جبرها أو تلصيقها وحده القلب لا يمكن ترقيعه²... إن حزيران كان ثمرة شديدة المرارة، بعضنا أكلها وبعضنا اعتاد تدريجيا على مذاقها وبعضنا تقيأها فوراً... أنا كنت من الفئة الأخيرة التي أضربت عن الطعام ورفضت الاعتراف بالجنين المشوه الذي طرحه رحم حزيران... قصيدتي " هوامش على دفتر النكسة" كانت المانيفستو الذي ضمنته احتجاجي ومعارضتي... إنني لا أذكر أنني كتبت في كل حياتي الشعرية قصيدة بمثل هذه الحالة العصبية والتهيج... وكما أقاتل من أجل تحرير الأرض من حوافر الخيول الإسرائيلية... من شحوب حزيران ولد شيء يدعونه الأدب الحزيراني... من عظامنا المطحونة وأحلامنا المطحونة وشفاهنا التي شققها العطش...خرج...))³

3- السفر

يقول "نزار قباني": ((أعجبتني لعبة السفر وأدمنت دوار البحر حتى صارت سطوح المراكب سرير... ومقاعد الطائرات وطني... وبقيت مأخوذا بلعبة السفر عشرين عاما إلى أن صار قلبي مليئا كحقيقية امرأة... إن اصطدامي بالعالم وبالمدن واللغات والثقافات جعل

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص16-210.

²المرجع نفسه، ص36-37.

³المرجع السابق، ص228.

ذاكراتي آلة تصوير لا تنسى شيئاً ولا تهمل شيئاً... ومن هذا المخزون الهائل من الخطوط والألوان والأصوات ومن رائحة البواخر... ومن سفري في داخل الكتب وسفري داخل الإنسان... تكون عندي قاموس شعري لا تنتمي مفرداته لأرض معينة أو وطن معين... ليس له جنسية...إنني في شعري أحمل جنسيات العالم كلها وأنتمي لدولة واحدة هي دولة الإنسان... إذن فأنا أدين للرحيل بثلاثة أرباع شعري))¹

4- الدار الدمشقية:

يقول عنها الشاعر نزار ((لأبد من العودة مرة أخرى الى الحديث عن دارنا "مئذنة الشحم" لأنها المفتاح إلى شعري والمدخل الصحيح إليه وبغير الحديث عن هذه الدار تبقى الصورة غير مكتملة ومنترعة من إطارها.. هذا البيت الدمشقي الجميل استحوذ على كل مشاعري وأفقدني شهية الخروج إلى الزقاق... ومن هنا نشأ عندي هذا الحس " البيتوتي" الذي رافقني في كل مراحل حياتي...إنني أشعر حتى اليوم بنوع من الاكتفاء الذاتي يجعل التسكع على أرصفة الشوارع واصطياد الذباب في المقاهي المكتظة بالرجال عملاً ترفضه طبيعتي...وكان هذا البيت هو نهاية حدود العلم عندي كان الصديق والواحة،المشتى، المصيف...))²

5- المرأة

يقول الشاعر الراحل عن المرأة " لماذا اخترت المرأة، دون غيرها من الكائنات الجميلة دفترًا أكتب عليه أشعاري؟ لماذا احتلت المرأة تلك المساحة الشاسعة من أوراقى ومدت ظلها على ثلاث أرباع عمري ؟وثلاثة أرباع فني...

((المرأة الشعر عندي هي التي تترك شرخا وارتجاجا في قشرة دماغي، هي التي تحدث خلخلة في إيقاع أيامي وفي نظام الأشياء من حولي، هي التي تلغي حركة الزمن وتربطني بزمناها هي... وهذا لا يعني أن مطلبي من المرأة التي أريد أن تكون حبيبتي مبالغ فيها ومستحيلة التنفيذ، لكنها مطالب شخصية جدا وصغيرة أولها أن تكون من أحبها

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص100.

²المرجع نفسه، ص34-142.

تشبهني...وثانيها أن تكون أُمي...وثالثها أن تكون فني جزءا من عمرها كما هو جزء من عمري...¹ ويقول عن مفاتيح شعري ((ليست مفاتيح سحرية وهي ليست معلقة في وسطي أو مخبئة تحت الوسادة مفاتيح شعري ثلاثة : " الطفولة، الثورة، الجنون "))²

6- المدرسة:

بحيث أثرت المدرسة في تكوين شاعرنا وكانت من أهم محيطاته الحياتية فهو يصرح لنا بهذا الأمر في سيرته الذاتية الشعرية بحيث يقول: "مدرستي الأولى هي ((الكلية العلمية الوطنية) في دمشق دخلت إليها في السابعة من عمري... موقع المدرسة كان موقعا بمنتهى الأهمية، فلقد كان مزرعة في قلب مدينة دمشق القديمة حيث كنا نسكن... كانت المدرسة على بعد خطوات من بيتنا أي أنها كانت امتدادا طبيعيا للبيت وحجرة أخرى من حجراته... وبالتالي فإن طريقنا إلى المدرسة كان طريقا فلوكلوريا مغرقا في شاميته... إذن فالطريق إلى المدرسة كان مثيرا للأنف واللسان معا...ومع غروب الشمس كنا نعود إلى البيت حيث كانت أُمي الملكة وكنا أغلى رعاياها... الكلية العلمية الوطنية لعب دورا رئيسيا في تشكيل الثقافي وقراءاتي اللبنانية أيضا ساهمت بشكل كبير في ذلك))³

7- الأم :

((أما أُمي فكانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب كانت تعتبرني ولدها المفضل وتخصني دون سائر أخوتي بالطيبات وتبلي مطالبتي الطفولية بلا شكوى ولا تدمر.. بين تفكير أبي الثائر وتفكير أُمي السلفي نشأت أنا على أرض من النار والماء... كانت أُمي ماء... وأبي نارا...وكننت أفضل نار أبي على ماء أُمي))⁴

وإذا تمعنا السيرة الذاتية الشعرية لشاعرنا الراحل "نزار قباني" نستشف منها الدافع الثاني وهو غير واضح ولكن يفهم من خلال الكلام ويستنتج.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص138.

²المرجع نفسه، ص 80.

³المرجع السابق، ص40-47.

⁴المرجع نفسه، ص 73.

8- الرغبة في الخلود:

كانت رغبة ودافع الشاعر "نزار قباني" هي البقاء والخلود فنجد هذا في توارد كلمة "الموت" في أكثر من موضع وكان الشاعر يرفض هذه النهاية فنجده يقول: ((إن سيف الدولة حادّ تاريخي ولهذا فهو قابل للموت، أما المتنبّي فهو (حادّ شعري) خارج سلطة الموت وإذا كان سيف الدولة الحمداني لا يزال يتنفس في ذاكرتنا حتى اليوم فلأن قصائد المتنبّي فيه هي التي جعلت تنفّسه ممكناً... الشاعر يكتب ولكنه أسوأ من يفسر كيمياء الكتابة، ويموت على دفاتره ولكنه لا يستطيع تفسير موته الشعري... أنا أكره أن أكون توأماً سيامياً مع أي شاعر، التوائم السيامية في الأدبي محكوم عليها سلفاً بالموت... إذن الطنطاوي لم يقتلني... لأن جيل الأربعينات من الشباب والشابات كان يرفض موتي المجاني، ويرفض أن أسقط تحت أقدام الانكشاريين... لأن سقوطي كان يعني سقوط أحلامه... واغتيال أول زهرة من زهرات الحرية تفتحت في مزهرياتهم))¹

إذن من خلال المطلب الأول تبين أن العناصر كلها متوفرة في كتاب "نزار قباني" وسأمر في المطلب الثاني لمناقشة عناصر أخرى لها صلة بالنص السيرذاتي.

المطلب الثاني: الصراع والصدق والحقيقة.

سأتناول في هذا المطلب قضايا الصراع والصدق والحقيقة وسأقسمه إلى الفروع الآتية:

الفرع الأول: الصراع ونجوى الذات.

تعرض السيرة الذاتية حياة صاحبها وتقف على المؤثرات التي وجهت حياته وتكشف عن محطات الصراع، باعتباره، العامل الأبعد أثراً في تشكيل الإنسان وبلورة رؤيته سواء أكان الصراع داخلياً أم خارجياً مما يمنح السيرة الذاتية قيمة حقيقية.

((إن وعي الكاتب لطبيعة الصراع وقدرته على تصويره ونجاحه في إثارة مشاعر المتلقي وتحفيزه على المشاركة في تلك التجربة من الأمور التي تسهم في بقاء السيرة الذاتية

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 24-85-97.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

ونجاحها... ولأن كاتب السير الذاتية يفرغ ما بداخله من قلق وحيرة واضطراب نفسي وهي مشاعر ولدتها صراعاته مع الحياة وحوادثها، كانت السيرة الذاتية النافذة التي يلقي من خلالها مابه من اختلالات فهي تحقق لكاتبها التوافق والالتزان إذ تيسر له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية والعليا من خلال ذكرياته والكشف عن حياته الباطنية وتأمل ذاته العميقة، بل فيها من ثراء داخلي يمثل عالما أصغر¹

والشاعر الراحل "نزار قباني" يجسد لنا هذا الصراع بشكليه الداخلي والخارجي، فكانت سيرته الذاتية الشعرية متنفسا لذلك.

وإذا تحدثنا عن الصراع الداخلي نجد الشاعر في صراع مع نفسه حيث يقول: ((
إنني أكتب الشعر ولا أدري كيف... كما لا تدري السمكة كيف تسبح والعصفور كيف يطير... لذلك ليس عندي أية نظرية عن ذلك الزلزال الذي يركض تحت سطح جلدي... من أين يجيء وإلى أين يذهب...أنا أتلقى الزلزال مستسلما ومدهوشا...وأخرج من تحت رمادي وخرائبي ولا أدري ما الذي حصل... هذا انطباع أولي عما يحدث أنه خاص بي))²

ويتجلى الصراع الداخلي في قوله: ((في السنة العاشرة من عمري كنت أبحث عن دور مناسب العبه...كنت أشعر بأصوات داخلية تدفعني لأن أقول شيئا أو أفعل شيئا... أو أكسر شيئا...شهوة كسر الأشياء هذه أتعبتني وأتعبت أهلي... كانت الأصوات في داخلي تساءل:لماذا يبقى الشيء على حاله؟ لماذا لا يتغير؟ لماذا لا يغير اسمه؟...طفولتي كانت مليئة بالأشياء الغريبة))³

ويتجسد الصراع الداخلي مرة أخرى بحيث يقول: ((في الثانية عشرة من عمري اجتاحتني حيرة لا شبيه لها، من أين أبدأ ؟ وكيف أبدأ ؟... إذن كان الرسم نزوة ولم تستطع لوحاتي أن تمتص ذبذبات نفسي... وفي الرابعة عشرة سكنني هاجس الموسيقى... فقررت

¹ رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، ص 105-106.

² نزار قباني، قصتي مع الشعر، ص 20-21.

³ المرجع نفسه، ص 57-59.

أن أوقف الرحلة من بدايتها ورميت آتني، وقطعت أوتاري وسقطت في حيرتي من جديد...¹ وبعد هذه المرحلة ركبني هاجس الخطوط والأشكال... هذا الضجر الشعري ينتابني كلما فرغت من إصدار مجموعة شعرية... كي لا أضطر للدوران حول نفسي² كل هذا يعكس لنا قمة الصراع الداخلي، أما إذا تحدثنا عن الصراع الخارجي فكانت معالمه محددة فقد تكلم عنها الشاعر في كتابه "قصتي مع الشعر" وتجسد كالتالي:

1-الثورة على معتقدات المجتمع:

كان صراعه الخارجي يعكس لنا تضمره وضجره من تلك المعتقدات التي حرمت ما أحل الله وهو الحب فيقول "نزار قباني": ((صورة أختي وهي تموت من أجل الحب محفورة في لحمي لا أزال أذكر وجهها الملائكي... كانت ميبتها أجمل من رابعة العدوية... حيث مشيت في جنازة أختي... وأنا في الخامسة عشر كان الحب يمشي إلى جانبي في الجنازة ويشد ذراعي ويبكي... وحين زرعوا أختي في التراب... لم نجد قبر... فوجدنا مكانه وردة... هل كان موت أختي في سبيل الحب أحد العوامل النفسية التي جعلتني أتوفر لشعر الحب بكل طاقتي وأهبة أجمل كلماتي.

هل كانت كتاباتي عن الحب تعويضا لما حرمت منه أختي وانتقاما لها من مجتمع يرفض الحب ويطارده بالفؤوس والبنادق... إنني متأكد أن مصرع أختي العاشقة كسر شيئا في داخلي... وترك على سطح بحيرة طفولتي أكثر من دائرة... وأكثر من إشارة استفهام³)

2-الثورة على الوضع السياسي المعاش والاقتناع بفكرة الاستعمار:

يتحدث عن هذا في صراعه الخارجي ضد المستعمر والانعطافة التي حدثت له في مسار شعره من أجل نصرته وطنه ورفض الخضوع والذل فهو يقول: ((كان غضبهم علي عظيمًا، لأنني تجرأت بعد هزيمة حزيران 1967 أن أبكي على وطني... حتى دموعي الحزيرانية

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 60.

²نزار قباني، الاعمال النثرية الكاملة، ص 243 - 442.

³نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص72.

رفضوها... فمن يبكي على صدر حبيبته لا يحق له أن يبكي على صدر وطنه...ومن يمارس العشق لا يحق له أن يمارس الثورة... إن شعري كله هو وطني إني مقتنع بوطنيته هذه وحسبي في تاريخ الشعر شاعران عظيمان أعطيا الحب والثورة ¹

3- الثورة على الشكل الشعري المتوارث:

كانت القصيدة العربية تعاني انفصاما حادا في الشخصية وكنت أحس وأنا أقرأ شعراء النهضة أنني أحضر حفلة تذكيرية... وأن كل شاعر يستعير القناع الذي يعجبه... وفي هذا الحفل الكرنفالي... قررت بحماس الشاب أن أغير بروتوكول الحفلة وأحرق نظامها وبكل بساطة، دخلت القاعة المكتظة بوجهي الطبيعي وملبسي العادية... وفي يدي أول مجموعة شعرية (قالت لي السمرء)... تعالى الصراخ... طالب المشرفون على الحفلة بطردني، قال واحد منهم متسلل وآخر دخل بغير بطاقة وقال ثالث ولد غير شرعي لا يشبه أحد من شجرة العائلة... كان الداعون والمدعوون يشكلون شركة محددة لنظم الشعر كانوا يرفضون أي عضو جديد في مجلس الإدارة وتحت إرهاب (الرأسمالية الشعرية) كان علينا أن نبدأ العصيان والمقاومة.

كان الشعر العربي قلعة من الحجر تشبه قلاع القرون الوسطى... وكان اختراق القلعة عملا جنونيا بل كان أقرب إلى الكفر... كل محاولة لتحريك حجر واحد في شطرنج "الخليل بن أحمد الفراهيدي"... كانت خروجاً على قواعد اللعبة... ²

هناك من فهم حادثة "نزار قباني" فهما خاطئاً واتهموه بأنها حادثة انقطاع عن التاريخ وتبرؤ من الذات والتراث ولكن نزار رد على هذه الطائفة قائلاً: ((إذا كانت طائفة الحداثيين تريد أن تتبع مكتبة جدي وعبادة أبي وغطاء صلاة أُمي ومسبحتها وثوب زفافها بالمزاد

¹ نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة، ص 370-372.

² نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 83-84-85-86.

العلمي- فلا... إذا كنت تريد أن تقطع شجرة عائلتي وتلغي ذاكرتي أو تسرق جواز سفري - فلا... وإن كنت تريد أن تأخذ مني لون عيوني وطول قامتي وفصيلة دمي...¹

إما إذا كانت الحادثة لتشبيه "نزار قباني" "زهرة جديدة في بستان التراث فأهلاً بها" يقول: ((إذا كانت تريد أن تزرع وردة غريبة اللون والرائحة في بستان الشعر فأهلاً وسهلاً بها وإذا كانت تريد أن تعلق لوحة جديدة على حائط منزلي فيا مرحباً))²

((إذن الشاعر نجح في تأكيد إمكانية التجديد من غير نكران الهوية وانتباز التراث وبهذا فحادثة نزار هذه التي تلغي الأذن العربية ولا تتعالى عليها ولكنها تحاول تلوينها بأنغام جديدة هي التي بواته هذه المنزل))³

وتكلم "نزار قباني" عن هذه الحادثة المفسدة المدمرة وكيف تجسدت مندداً بذلك متذمراً لما ألاليه الشعر العربي فهو يقول:

1-تخريب التراث واغتيال نظام الشعر:

يقول في هذا: ((من هو المسؤول عن تلك الغوغائية الشعرية التي تسود الشارع الثقافي العربي والتي حطمت مصابيح الطرقات وإشارات المرور... المسؤول هو هذه الأقلية التي جاءت من الفراغ والعدم واللاشيء... بعد أكثر من خمسة عشر قرن على ميلاد القصيدة العربية تحاصر شرطة الحادثة بيتها وتصادر ممتلكاتها وتختتم بابها بالشمع الأحمر وتأخذها بتياب النوم إلى ملجأ العجزة))⁴

2-إفساد اللغة والإيقاع:

يقول "نزار قباني" في مقال عنوانه "الحادثة والاعتصاب": ((الشعر الحديث هو عملية اغتصاب علنية تجري في الشارع العام وفي وضوح النهار اغتصاب ثقافي... إن الفخ

¹وليد قصاب: نزار قباني وشعراء الحادثة.

http://www.alukah.net/web/alkassab/10_511/3070026/12/2012.

²وليد قصاب: نزار قباني وشعراء الحادثة، الموقع نفسه.

³المرجع نفسه.

⁴وليد قصاب: نزار قباني وشعراء الحادثة.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

الخطير الذي وقعت فيه حركة الحداثة هو اعتقادنا أن موسيقى الشعر هو نظام استعماري قديم لا بد من الانقلاب عنه...¹

وكان نزار واثقا من قدرة اللغة العربية على الإبداع والعطاء ولكنها تحتاج الى اليد الماهرة.

3- انقطاع التواصل مع الجمهور:

تحدث "نزار قباني" طويلا في مقاله عن القطيعة الواقعة بين شعر الحداثة وال جماهير العربية وحمل الشعراء وزر هذه القطيعة لأنهم تعالوا على هذا الجمهور وانصرفوا عن همومه وأشجانه.²

4- الغموض:

وهو في رأي شاعرنا أحد الأسباب الكبرى لانعدام التواصل بين الشاعر الحديث والجمهور وأن اللغة لا يمكن أن تصل إلى الناس وتخطب مداركهم وأحاسيسهم إلا إذا مرت عبر القنوات الصحيحة التي تشكل دلالتها.³

هذه بعض من مآخذ "نزار قباني" على شعراء الحداثة الهجينة والتي تعكس الحدة والألم والوجع الذي يعكس إحساسا حارا بالفجيعة على ما آل إليه حال الشعر العربي.

لقد كان الشاعر الراحل "نزار قباني" غيورا على الشعر العربي ويخاف أن تغتاله أيدي العابثين ولذلك كان سيفاً مسلطاً على رقاب هؤلاء المفسدين وكان إحساسه أنهم يمارسون - بتعبيره - اغتصاباً للثقافة العربية لا يمكن اصلاحه وترميمه إنهم بتعبيره يأكلان تمر الشعر ويزهقون روح هذا الفن العريق الجميل فن العرب الأكبر وديوان معارضهم ومستودع حكمتهم.⁴

¹ وليد قصاب: نزار قباني وشعراء الحداثة.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.

⁴ المرجع السابق.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

كل هذه المحطات السابقة الذكر عكست لنا الصراع في تجربة الشاعر "نزار قباني" الشعرية والتي صرح بها في سيرته الذاتية من كتابه " قصتي مع الشعر".

الفرع الثاني: الصدق والصراحة.

يعد التزام كاتب السيرة الذاتية الصدق والصراحة ضرورة ملحة فهما من العناصر المهمة في بنائها وحضورها يولد ثقة بين المرسل والمرسل إليه ويكسب النص قيمة تاريخية واجتماعية ومرآة تعكس حياة صاحبها، ويحيله وثيقة يمكن الرجوع إليها.

وتعتبر السيرة الذاتية خير مظهر للتعبير عن الصدق الفني: ((أي أصالة الكاتب في تعبيره ورجوعه فيه إلى ذات نفسه لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة، وهذا الصدق الفني أو الأصالة هي أساس تقدم الفنون جميعا ومنها فنون القول في كل العصور وعلى حسب كل مذاهب الأدب الحديثة المعتمد بها...))¹

وهنا يطرح سؤال ما مدى قدرة التزام كاتب السيرة الذاتية بالصدق التام والصراحة المطلقة في سيرته ونجد الإجابة عند قول "إحسان عباس": ((والجواب على هذا التساؤل سهل لا يحتاج إلى كثيرا من التدقيق، فالصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، والحقيقة الذاتية أمر نسبي، مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها ولذلك كان الصدق في السيرة الذاتية محاولة، لا أمرا متحققا))²

وسنحاول عرض مواقف الصدق والصراحة في السيرة الذاتية الشعرية للشاعر الراحل "نزار قباني" والتي تجلت معالمها في أكثر من موضع فهو يقول في كتابه السير الذاتي الشعري "' قصتي مع الشعر" مايلي: ((وأنا بصراحة أحب أن أرقص... إنني لا أحاول رشوتكم بشبه بليغ، ولكن ثقوا أنني بهذا التشبيه لا أظلم قارورة العطر... وإنما أظلم دارنا...))

¹ محمد غنيمي هلال: المدخل الى النقد الادبي الحديث، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1962، ص 258.

² إحسان عباس: فن السيرة، ص 113.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

مرة رميت نفسي من فوق سطح المنزل لأكتشف الشعور بالسقوط... ومرة أشعلت النار في ثيابي متعمدا لأعرف سر النار...¹

ويكمل قائلا: ((إنني منذ طفولتي أجد متعة كبرى في التصادم مع التاريخ والخرافة لقد كنت في كل مراحل حياتي وفي كل كتاباتي متورطا... وراكبا حصان الفضيحة... إن المبدأ الديكارتي المشهور " أفكر فأنا موجود" يأخذ بالنسبة لي صيغة أخرى: "أكتب شعرا... إذن فأنا مفضوح"... وأود أن أعترف أن شعري قدمني للناس تقدما خطرا وصبغ سمعتي بالأحمر الفاقع... لقد ترددت كثيرا قبل كتابة هذا الفصل " حياتي" لأنني أعرف طبيعة مجتمعنا وأنه لا يتقبل بروح رياضية مثل هذا البوح... قررت أن أصرف النظر عن كتابة هذا الفصل نظرا لحساسيته الشديدة ثم تبين لي بعد طول تفكير أن غياب هذا الفصل سوف يترك فجوة واسعة في هذه السيرة الذاتية التي أحاول بكل إخلاص أن تكون شاملة ومغطية لكل الأحداث التي أثرت في تكويني الشعري...²

ويتجلى الصدق أكثر عندما اعترف أنه يرتاد الملاهي ويمارس الجنس مع المومس فيقول: ((كنت أشعر أمام المومس بوجع إنساني لا نهاية له كأنني أحمل كل خطايا العالم على ظهري... كنت حين أخرج من مخدع بغي أعتذر لجسدي... وأبكي أمامه كالطفل المذنب لعله يسامحني... والذين عرفوني في قرب يعرفون أنني في كل علاقاتي العاطفية كنت ملتزم مبدأ الصدق مع نفسي ومع من عرفتهم... وليس من باب التبجح والغرور القومي أن أقول إن تجاربي وأبطالي وخلفية شعري كانت عربية مئة بالمائة... أول ملاحظة أسجلها هي أنني لا أحفظ شعر غيري، ولا شعري... وأعترف لكم هنا أنني قليل الوفاء لقصائدي القديمة... إنني بصراحة لا أشعر بالحاجة للتفكير عن جريمة وهمية لم أرتكبها...³

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 19-21-58.

²المرجع نفسه، ص 81-127.

³المرجع السابق، ص 148.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

((إن رواية الشعر هي استعادة حالة واسترجاع مناخ نقي من الصعب استعادته لذلك

يصعب علي استدعاء زمن خرج من يدي... والملاحظة الثانية التي أريد أن أسجلها هي

غياب الطبيعة كموضوع قائم بذاته... لم أكن واحد من الوصافي العرب.))¹

ونجد في مواضع عدة مستندات وشهادات تلغي الصدق عند "نزار قباني" وتشكك في

موضوعية سرده الذاتي وصدقه وصراحته ويتجلى هذا حول ما ذكره عن سبب انتحار شقيقته

ورد السبب إلى منع أسرتها الزواج به ووصفها بشهيدة العشق، وقد صحح هذه الرواية

صديقة قديمة له وكتبت كتابا عنه بعنوان "أيام معه" كما تحدثت عنه مرارا بعد وفاته فقد

قالت "كوليت خوري" مرة في إحدى الفضائيات أن ما قاله نزار حول شقيقته لا يمت إلى

الحقيقة بصلة... والسبب هو أن الذي أحبته فضل سواها عليها...))²

ويبدو أن كوليت خوري "أخذت عن نفسها تصحيح جوانب كثيرة في سيرة نزار غير

حكاية شقيقته، فقد ذكرت في ندوة دعت إليها مؤخرا وزارة الثقافة في دمشق أنا بصدد طباعة

كتاب يتضمن ثلاثين رسالة أرسلها إليها نزار بعد قصة حب جمعتهم... وهي تقول: ((بادلت

نزارا الحب بشغف ولكنني لم استطع تحمل بعض تصرفاته ولهذا هجرته وسافرت إلى أمريكا

وسافر هو إلى الصين وأضافت أعتقد أنني كنت فتاة أحلامه...))³

ونجد ابنته هدياء قباني ترفع هذا الاتهام والظلم بحيث تقول: ((الذين يقرؤون شعر

أبي ولا سيما دواوينه الأولى يتصورون أنه دون جوان عصره... إنها كذبة روجتها عنه

صحافة الفضائح حتى إنني كنت أمارحه دائما بقولي سوف: افضحك يوما إذ سأقول للناس

كم أنت نقي وعذري وبيتوتي تنام الساعة السادسة مساء وتتهض مع أذان الفجر... كم أنت

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 200-208.

²جهاد فاضل: السيرة النزارية، جريدة الرياض

<http://www.alriyadh.com/2006/10/05/artice>

191807.html. 14:38.

.29/11/2012.

³جهاد فاضل: السيرة النزارية، جريدة الرياض، الموقع نفسه.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

نظيف ونظامي ومعتزل ضوضاء الحياة الاجتماعية فلا ليال حمراء ولا زرقاء ولا صفراء ولا من يسهرون ولا تسكع ولا من يتسكعون¹

الفرع الثالث: الحقيقة والخيال.

إن السيرة الذاتية فن يستمد جماله من روح كاتبه وقدرته على خلقها في قالب روائي ممتع ((والسيرة الذاتية يجب أن تتصل اتصالا كبيرا بالواقع وتبتعد البعد كله عن الخيال ف شخصية البطل والشخصيات الثانوية ينبغي أن تكون قد عاشت الأحداث فعلا وأحست به²

وهناك في السيرة الذاتية الشعرية "لنزار قباني" تتجسد الحقيقة فهو يقول: ((استطيع الآن أن أغمض عيني وأعد مسامير أبوابه واستعيد آيات القرآن المحفورة على خشب قاعاته، استطيع الآن أن أعد بلاطاته واحدة... واحدة... وأسماك بركته واحدة... واحدة... وسلالمة الرخامية درجة... درجة... استطيع أن أغمض عيني واستعيد بعد ثلاثين سنة مجلس أبي في صحن الدار وأمامه فنجان قهوته... وجريدته وعلى صفحات الجريدة تتساقط كل خمس دقائق زهرة ياسمين بيضاء... كأنها رسالة حب قادمة من السماء على السجادة الفارسية الممدودة على بلاط الدار ذاكرت درسي وكتبت فروضي وحفظت قصائد "عمر بن كثلوم وزهير والنابعة"...³

وفي الوقت نفسه نجد بعض عناصر الخيال تتجسد في قوله: ((في الأربعينات فكر أطفال شياطين من بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت في مهاجمة قطار الأشباح وتغيير اتجاهه... لم تكن عملية نسف القطار العجوز هينة... ولا تسكب الماء المغلي في البالوعة خوفا من الشياطين... كنت أجد متعة في التصادم مع التاريخ والخرافة... أنا شاعر وهبت روحي للشياطين وللمرأة... وظيفة الشعر أن يقتل الوحش الذي استوطن كل مدينة عربية...

¹ جهاد فاضل: السيرة النزارية، جريدة الرياض.

² عبد الرحيم رائد مصطفى: دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة، المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علمية متخصصة، م ج 10 عدد (5) كانون الأول 2004 ، ص 326.

³ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 35-67.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

لقد كنت أول من غسل نفسه بنفسي، أول من سكب الزيت الحارق على جلده... حين مشيت في جنازة أختي... وأنا في الخامسة عشر، كان الحب يمشي إلى جانبي في جنازتي ويشد على ذراعي ويبكي... وإن استطعت أن أقاوم عفاريت الغابة وخفافيشها ثلاثين عاما فلأنني كنت مثل السنافير سبعة أرواح ¹ ((

وإن وظف "نزار قباني" عنصر الخيال فكان توظيفاً جمالياً وليس القصد منه إخراج السيرة الذاتية من حقيقتها.

ولكن بالعكس فانطلاقاً مما درسته في هذا المبحث وجدت "نزار قباني" إنسان طاهر نقي ورقيق القلب ومرهف المشاعر حمل على عاتقه مسؤولية حماية الشعر العربي من الزوال وحماية تراثنا العربي من الاندثار وسخر قلمه وشعره من أجل الدفاع عن الوطن وإعلاء كلمة الحق وهو إنسان متحرر يحب الحرية والتجديد ولكن دون إلغاء ذواتنا والانسلاخ عن ماضينا .

لجأ إلى سرد سيرته الذاتية الشعرية التي عكس لنا قمة الصراع الذي كان يعانيه فلم يجد شيئاً يثلج صدره ويطفئ ناره إلا شعره وتحرى على أن ينقل لنا تجربته بكل صدق وموضوعية وأباح لنا عن ما بداخله بصوت صريح وعال دون خجل.

أنه شاعر أتهم بالباطل وأسيء فهمه، وسأتابع عرض العناصر المنتمية لخارج النص السيرذاتي لكتاب "نزار قباني" لكي نكشف هذا الكائن البريء بوسائله الأخرى، وهذا يكون في المبحث الثاني.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 71-74-81-135-222.

المبحث الثاني: العناصر المنتمية لخارج النص السيرذاتي.

هي العناصر المحيطة بالنص والتي تشكل بحسب رأي (جينت) ((العتبات التي تنسج النص وتسميه وتحميه وتدافع عنه وتميزه عن غيره وتعين موقعه في جنسه وحث القارئ على اقتنائه))¹ ونسميها أيضا العناصر الموجهة للنص، ولتوضيحها قسمتها الى مطالب جاءت كالآتي:

المطلب الأول: العنوان والمؤلف ودلالة الصور.

هذه العناصر تأتي مدونة على الكتاب وسأبد بالعنوان.

الفرع الأول: العنوان

العنوان هو البوابة الأولى التي يعبرها المتلقي نحو النص وهو المفتاح الذي يقودنا الى تحديد موضوع الكتاب أو الاقتراب الى دائرة الجنس الذي ينتمي إليه. ((وقد حدد "جيرار جنييت" للعنوان أربع وظائف وهي:

1-تحديد هوية النص.

2-الوظيفة الوصفية: هي وصف النص بإحدى خصائصه الموضوعية أو الشكلية.

3-الوظيفة الدلالية الضمنية أو المصاحبة(الإيحائية)

4-الوظيفة الاغرائية))²

فعلى الرغم من أن المؤلف حر في اختيار العنوان الا أنه خاضع بطريقة أو بأخرى الى معايير معينة في الاختبار موقعيا وتركيبيا وجماليا ودلاليا وتجاريا))³

وإذا رجعنا إلى السيرة الذاتية الشعرية "لنزار قباني" نجد العنوان "قصتي مع الشعر" فالعنوان من حيث الموقع كتب على الغلاف وفي أسفل الصفحة الى اليمين بلون أخضر وجاء العنوان مع اسم المؤلف "نزار قباني" الذي كتب على أقصى يسار الصفحة والكتاب

¹ خليل شكري هباس: سيرة جبر الذاتية، ص08.

²المرجع نفسه، ص27.

³المرجع السابق ص27.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

غلف بصورتين للشاعر الأولى والتي تحمل العنوان جاءت صورته وهو كهل والصورة الثانية في الغلاف الثاني وهي صورته وهو طفل والعنوان جاء مركب عاطفي أي ربط القصة وخصها بالشعر فقط، من العموم إلى الخصوص والعنوان يحيل إلى الشخصية المتكلمة وهو الشاعر "نزار قباني" هذا من خلال ياء المتكلم في "قصتي" التي تعني أن هذه القصة له هو وحده دون غيره ويخصصها إذ ربطها بالشعر.

وكأن شاعرنا اختصر الطريق للعبور إلى القارئ وسهل له فهم ما يحتويه كتابه إذ يقول له أن الصورة الموجودة في بداية الكتاب والتي غلف بها وحملت اسمه هي عبارة عن قصة جمعتها مع شعره أو بتعبير آخر أن صورتين الموجودتين على غلاف الكتاب فهي خلاصة تجربة الشاعر "نزار قباني" مع الشعر منذ طفولته إلى كهولته، وهذه إحالة مباشرة على طبيعة الكتاب وتحديد جنسه إذ يعتبر سيرة ذاتية شعرية. وعندما نتفحص العناوين الداخلية للكتاب نجدها في رموزها الدلالية تعني ما يلي:

- مدرستي الأولى "دلالة مكانية".
- طفولتي وأسرتي "دلالة زمانية وعلاقات شخصية".
- شاعر النساء "علاقات شخصية".
- الولادة على سرير أخضر "علاقة زمانية شخصية".
- هوامش على دفتر النكسة "علاقة زمانية مكانية وعلاقة شخصية".

والعنوان الفرعي إذا لاحظناه نجده يتميز بخاصيتين:

1- ((خاصية التبعية: أي وقوعه في الدائرة الدلالية للعنوان الرئيسي أي الانتماء إلى السيرة الذاتية الشعرية للشاعر نزار.

2-خاصية توضيحية تخصيصية: فهي تقوم بشرح العنوان الرئيسي وفك الغموض واللبس

عنه))¹

¹ خليل شكري هباس: سيرة جبرا الذاتية، ص 43.

وبهذا فالشاعر يؤكد لنا أن ما بداخل الكتاب من محتوى وما كتب عليه على الغلاف كله يخصه هو دون سواه وخاصة شعره دون غيره من محطات حياته فهذا تصريح مباشر بأنها سيرة ذاتية شعرية وهذا يعكس مدى صحته وصراحته .

الفرع الثاني: اسم المؤلف.

إن أول ما يشد انتباهنا في صفحة العنوان اسم المؤلف الموجود في أعلى الصفحة الى اليسار وهذا ربما دليل على نرجسيته وتضخم الآنا عنده وذاتيته وهذا ربما يؤكد الاتهام الذي وجه إليه في الكثير من الأحيان في كتاباته بأنه نرجيسي وهو يدافع عن نفسه بأنه ليس نرجسي في كتابه ويقول: ((حديث النفس للنفس في بلادنا مكروه، نحن لا نفهم المونولوج الداخلي ونعتبره نوعا من الغرور والنرجسية))¹ وتظهر نرجسيته في قوله : ((ولم يصافحوني حين مددت لهم يدي، لأن شعري كان أشقر...ولأن عيني كانتا زرقاوين...))² وربما كان لورود الاسم في أعلى الصفحة تأويل آخر هو أن الذات المتحدثة في هذا الكتاب إنما هي "لنزار قباني" والتي تمثل هنا البؤرة التي تتمركز حولها كل العناصر الأخرى في الكتاب لذا جاء الاسم متصدرا.

وللأسف في النص السيرذاتي أهمية كبيرة فهو يمثل عتبة أولى تمهد للقارئ تعامله مع النص إن لم يكن يوجه هذا التعامل، وله دلالاته الخاصة في هذا النوع الأدبي فهو يعكس لنا حرص المؤلف على إعطاء بعد حقيقي للوقائع الخاصة بسيرته.

ويؤكد "جيرار جنيت" على ((أن اثبات اسم المؤلف يصبح فعلا دالا أكثر عندما يتعلق الأمر بالسيرة الذاتية خاصة لأنه يكون حينئذ جزاء للعقد المقام بين المؤلف والقارئ))³ كما أنه يخلف من جهة أخرى نوعا من الإثارة لدى المتلقي يدفعه إلى قراءات هذا الأثر مدفوعا بذلك بنوع من الفضول في معرفة الآخر والوقوف على مكنوناته الداخلية .

¹لنزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 15-85.

²المرجع نفسه، ص 85.

³خليل شكري هباس: سيرة جير الذاتية، ص 45.

الفرع الثالث: دلالة الصور على غلاف الكتاب.

الصورة التي وجدت على الغلاف هي صورة الشاعر الراحل "نزار قباني" وهو مؤلف الكتاب، وجاءت ملامحها واضحة ودقيقة وقد غطت الكتاب كله وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه وهي تعكس لنا فرحه وسروره ربما اختارها ليدل على أنه سعيد ومبتهج لأنه يبوح لنا أسراراً من حياته وأرادنا أن نتقاسم همومه معه ولأنه سيفرغ ما بداخله ويرتاح.

الصورة احتلت مساحة الغلاف كله ربما كان قصده الكتاب لي وأنا موجود على الغلاف وداخل الغلاف وبين صفحات الكتاب لا أحد غيره والصورة كانت تعكس لنا عمر الشاعر مابين الستينات وبداية السبعينات وهي توحى وعيه الكلي بما يفعل وما يبوح به وما يصدر عنه.

إنه المسؤول الأول عن كل شيء يقوله في هذا الكتاب بكل كلماته وإحساساته لأنه ببساطة هو الذي يحكي ويخبر وهو السيد الأول والأخير لهذا الكتاب من خلال محطة عظيمة في حياته وهي التجربة الشعرية.

ونجده وضع صورته وهو طفل في الغلاف الثاني للكتاب وهذا معناه المسيرة الشعرية للشاعر من بدايتها وهي طفولته الى نهايتها وهو كهل.

ويحرص الشاعر على الصدق والصراحة، ولهذا نجده قد أورد صوراً له ولعائلته في مراحل مختلفة من حياته والملاحظة أنه يربط كل مرحلة من مراحل عمره بلون معين، وهذا انعكاس لما يشعر به في تلك المرحلة، فمثلاً نجده يقول: ((منزلنا الدمشقي"الولادة على سرير أخضر"، "أبي صناعة الحلوة وصناعة الثورة"، أمي كانت تحب الله، الفل الدمشقي، الورد والطفولة والسنوات الخمس، أسرتي التي تحترف العشق، "مرحلة اللون" مصيف بلودان 1930"، "مرحلة النغم في الخامسة عشر"، "البندقية صيف عام 1939" بدأ الرسم بالكلمات"، "المرحلة الدبلوماسية غباري متناثر في كل القارات"، "المرحلة الرمادية لندن 1952-1955"، "المرحلة الصفراء بكين، المرحلة الوردية إسبانيا 1962))¹

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 128-129.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

إذن الشاعر "نزار قباني" لم يترك أي مجال للتخمين في طبيعة جنس هذا الكتاب فكل قارئ تدل على أنه سيرة ذاتية شعرية.

الفرع الرابع: الإهداء.

يمثل الإهداء عنصراً من العناصر الموجهة للنص السيرذاتي عتبة نصية مهمة تسهل في إضاءة النص وتشير بشكل مباشر ولا سيما في نص يمثل سيرة الكاتب الذاتية فهو إذا يحيل إلى داخل النص ويعمل على توضيح بعض جوانبه.

وفي كتاب الشاعر "نزار قباني" نجد الإهداء غير موجود، ولعلي أرى هذا تواضعاً من الشاعر الراحل، إذ ربما أراد أن يهديه إلى كل إنسان وقع بين يديه هذا الكتاب بدون تخصيص لا للزمن ولا للمكان، فهو إهداء مفتوح يعكس لنا النزعة الإنسانية في سيرته الذاتية الشعرية.

المطلب الثاني: المقدمة والوصف واللغة.

هناك سمات تظهر في أسلوب كاتب السيرة الذاتية والتي تعكس ما إذا كان حقاً ما يكتبه سيرة ذاتية ويتجلى هذا في اللغة والحوار والوصف وسأتناول كل واحد على انفراد على شكل فروع:

الفرع الأول: فاتحة الكتاب.

((تعد فاتحة الكتاب أحد العناصر الموجهة في فهم النص، وهي عند "جرار جنيت" واحد من العتبات النصية المحيطة بالنص والمسهممة في فهم النص وتحليله... كما أنها تمثل مدخلاً من المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيط الأولية والأساسية للعمل المفروض))¹

وفي السيرة الذاتية الشعرية عند الشاعر الراحل "نزار قباني" وفي كتابه "قصتي مع الشعر" نجد الفاتحة عبارة عن أقوال اختارها الشاعر لكتاب من جنسيات مختلفة تدور حول موضوعات ويتبن أن شاعرنا قد أثرت فيه وأنه يساندهم الرأي فيما قالوه والأقوال هي:

¹ خليل شكري هباس: سيرة جبر الذاتية، ص 52-53.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

((1- كل أدب جديد هو عدائي، العدائية تمتزج بالأصالة وهي تقلق ما اعتاد عليه الناس من أفكار "أوجين أونسكو"

2- الكتابة ليست سجادة فارسية يسير فوقها الكاتب، والكاتب يشبه ذلك الحيوان البري الذي كلما طارده الصيادون كتب أفضل "جان كوكتو".

3-لولا البحر ولولا المرأة لبقينا يتامى، فكلاهما يغطينا بالملح الذي يحفظنا "الكاتب الجزائري محمد ديب"

4-"إن الحضارة في رأيي هي أنثى، وكل ما هو حضاري هو أنثوي" الكاتب السوداني الطيب صالح"

5-عند كل زيادة شاعر يتغير العالم قليلا أو كثيرا "أنسي الحاج" ¹

ومن خلال هذه الأقوال يتضح لنا رؤية الشاعر حول الجديد في الأدب والكتابة والمرأة والحضارة وما يفعله الشاعر من تغيير في العالم.

إذن تأثره بهذه الأقوال تعكس لنا وجهة نظره وتساهم في رفع الغموض عن تفكيره وتأخذ بأيدينا لفهم ما يريد قوله في الكتاب.

الفرع الثاني: المقدمة.

ومن العتبات النصية المهمة في توجيه القراءة فضلا عن العنوان، المقدمة إذ أنها تنظم مجموعة من السمات التي تكشف عن مقصدية المبدع ونواياه ومراميه الأيديولوجية التي تمثل إشارات وموجهات أساسية لتقود القارئ إلى فهم أشمل وأدق في النص.

وعند تقصي المقدمة في كتاب "قصتي مع الشعر" نجد الشاعر "نزار قباني" قد وصفها بالإضاءة وقد يعي كل الوعي عند وضعه هذه التسمية لأنه أراد أن يضيئ عن كتابه فيها، ويكشف وينير ما غمض عنه ويمهد لما يأتي فيما بعد من كلام.

وفي هذه الإضاءة صرح الشاعر عن رغبته في كتابة هذا الكتاب وهي كما ذكرنا سالفا أنه أراد أن يكتب سيرته الذاتية الشعرية بنفسه لاغيا بذلك عمل النقاد والباحثين بتشويها

¹نزار قباني: الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ج7، ص187-190.

وتحريفها عن حقيقتها، فهو يقول: ((أريد أن أكتب قصتي مع الشعر قبل أن يكتبها أحد غيري أريد أن أرسم وجهي بيدي، إذ لا أحد يستطيع أن يرسم وجهي أحسن مني))¹ ويكمل قائلاً: ((لأنني لا أريد أن أدخل غرفة العمليات وأسلم جسدي الى مباحث الناقدين قررت أن أظهر على المسرح بشكلي الطبيعي ووجهي الطبيعي))² وفي الإضاءة صرح الشاعر عن طبيعة كتابه وهذا لضبط القارئ وتوجيهه لنوعية قراءته لهذا الكتاب فهو يقول: ((أما أنا فهذا هو دفتر مذكراتي، سجلت فيه كل تفاصيل رحلتي في غابات الشعر...))(هذا الكتاب سيكون نوعاً من السيرة الذاتية))³ وتحدث أيضاً معتبر أن الكتابة هي سلاح أبيض، وأن الأدب لا علاقة له بالحظ واليانصيب وإنما هو آت من رحم الصبر والشغل والمعاناة والفجيرة.

الفرع الثالث: الحوار والسرد والوصف.

يحتل السرد مكانة هامة في السيرة الذاتية وهو يمثل ((نظام حياة الفرد نفسه منذ ولادة حتى اللحظة التي يكتب فيها سيرته الذاتية))⁴ ، ويتضمن النص السردى خطاباً أو أحداثاً يوجهها السارد (الكاتب) الى شخص آخر (المتلقي) ومن هنا يكون السرد ((خطاب السارد أو حواراً إلى من يسرد له سواء كان المتلقي داخل النص أو خارجه وهو القارئ الحقيقي))⁵ والسيرة الذاتية في تشكيل نوعها الأدبي المميز والخاص على مائدة أولية هي الذكريات ((وهذه الذكريات الدقيقة عندما تودع في الأوراق فإنها تحول الى نوع آخر من التذكر (المغترب))⁶

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 09.

²المرجع نفسه، ص 10-14

³المرجع السابق، ص 14-15.

⁴عبد الغني محمود: فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ط1، 2006، ص163.

⁵الكردى، عبد الرحيم: السرد ومناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص163.

⁶محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص40-41-95.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

إن عملية التذكر في مجال الكتابة السيرذاتية عملية شديدة التعقيد والتركيب، وهي تعني فيما تعنيه: ((تحويلاً إلى الداخل وتكثيفاً، تعني تغلغلاً متواصلاً لكل العناصر من حياتنا الماضية))¹

إن السيرة الذاتية التي يكتبها الفنان والشاعر على نحو خاص، لابد أن تتمتع بمواصفات خاصة على المستويات كافة، وإذا ما كانت السيرة الذاتية للشاعر متخصصة في عرض تجربته الشعرية تحديداً فإن ذلك ينقلها إلى مرحلة أكثر تخصصاً وأهمية، وبالتالي فإن عملية التذكر هنا يجب أن ترتقي إلى أعلى مراحلها بيقظة ووعياً لأن الحدث الذي تقوم عليه السيرة الذاتية الشعرية ليس حدثاً إنسانياً عاماً إنما هو نشاط إبداعي خلاق يرتبط بظرف اجتماعي ونفسي وحضاري وفني غاية في الخصوصية والدقة والتفرد.²

ومن المنطلقات الأساسية في كتابة السيرة الذاتية الشعرية هي الاعتدال في وصف وسرد خصائص وأحداث التجربة.

((وتأتي السيرة الذاتية الشعرية "قصتي مع الشعر" واحدة من أهم النصوص النثرية وأخطرهما، ففضلاً على سيرة التجربة التي ينطوي عليها الكتاب فإنه يقدم سرداً ووصفاً رائعين إلى الدرجة التي سيبدو فيها وكأنه قصيدة متكاملة))³

ومن تقنيات السرد عند "نزار قباني" نجد "الاسترجاع" من خلاله استحضار الماضي فنجدته يقول: ((كل الذي أعرفه أنني يوم ولدت، كانت الطبيعة تنفذ انقلابها على الشتاء... ولم تكن مخيلتي الصغيرة في تلك الأعوام من الثلاثينات قادرة على وعي الأشياء بوضوح))

أستطيع أن أغمض عيني وأستعيد بعد ثلاثين سنة مجلس أبي في صحن الدار... إنني الآن أتذكر الساعات الحلوة التي كنت أقضيها مع الصديق بدور في منزلي في مدريد...لابد من العودة مرة أخرى إلى الحديث عن دار (مئذنة الشحم) لأنها المفتاح في شعري))⁴

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية ، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 95.

³ المرجع نفسه، ص 95.

⁴ نزار قباني قصتي مع الشعر، ص 26-27-35-54.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

أما عن الوصف فنجدّه يتفنن فيه قائلاً: ((شجرة النارنج تحتضن ثمرها والدالية حامل والياسمينه ولدت ألف قمر أبيض وعلقتهم على قضبان النوافذ...الورد البلدي سجاد أحمر ممدود تحت أقدامك والليلكة تمشط شعرها البنفسجي...وألوف النباتات الدمشقية التي أتذكر ألوانها ولا أتذكر أسمائها...لا تزال تتسلق على أصابعي كلما أردت أن أكتب...القطط الشامية النظيفة الممتلئة صحة ونضارة تصعد إلى مملكة الشمس...ضمن هذا الحزام الأخضر...ولدت وحبوت ونطقت كلماتي الأولى... كان اصطدامي بالجمال قدرايوميا...كنت إذا تعثرت أتعثر بجناح حمامة وإذا سقطت أسقط على حضن وردة... حول مدرستا كانت تلف كالأساور الذهبية أسواق دمشق الظليلة: سوق الحميدية وسوق الحرير وسوق النسوان...طبع في دمشق كتاب صغير زاهي الغلاف ناعمه، ملفوف بالورق الشفاف الذي تلف به علب الشوكولاتة في الأعراس، معقودة عليه شريط أحمر...))¹

و"الرسائل" وظفها الشاعر "نزار قباني" في كتابه وهي طريقة اعتماد إليها كونه فن يقرب النص إلى الواقع ويكسبه مصداقية أكثر كما تسهم في كشف الحقائق، ومنها ماكتبه الشاعر نزار إلى الرئيس " جمال عبد الناصر":
(سيادة الرئيس عبد الناصر)

في هذه الأيام التي أصبحت فيها أعصابنا رمادا وطوقتنا الأحزان من كل مكان...يكتب إليك شاعر عربي يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية في الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له في تاريخ الظلم...²

كما وظف الشاعر في سيرته الذاتية الشعرية أبياتا شعرية له ولغيره واستشهد بها لتحمل دلالة غير التي قيلت فيها أصلا إنما لتعكس حالة وتوائم شعوريا يتماهى مع الموقف أو يتماهى مع الحال كما في النص ومن ذلك قول الشاعر:
(تكلمني حبيبتي...عما فعلت اليوم.)

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر ، ص31-41-33.

²المرجع نفسه، ص 33.

أي كتاب-مثلا-قرأت قبل النوم ؟

أين قضيت عطلة الأسبوع ؟

قال الشاعر حولها وقفت أمام هذا الكلام وتساءلت إذا كان الناس سيغفرون لي هذا العدوان المقصور على تاريخ البلاغة العربية¹ إذن هذه المقاطع تعكس لنا حيرته ودهشته، وفي موضع آخر يعكس لنا ثورته على الحكام وما يصدر عنه حتى وإن كان ينتمي إلى نفس البلاد معه فهو يستشهد بقول الشاعر: وما أنا إلا من غزية... إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد...²

ويقول في موضع آخر بأنه لا يستطيع أن يتحدث عن طريقة عمرو بن كلثوم:

((إذا بلغ الفطام لنا صبيا تخر له الجبابر ساجدينا

لأن الأطفال في عصر عمرو بن كلثوم كانوا بخير ولهم وطن وقبيلة، أما أطفال القدس وحيفا ونابلس والناصرية فلا زالوا يبحثون عن وطن... ويبحثون عن قبيلة))³
أما الوسيلة الأخرى هي "الحوار" وهي الركيزة الأساسية التي تتسج من خلالها أحداث النص السردي وتفاصيله وهو البوصلة التي تقود المشاهد للتعرف إلى الوقائع ((والكشف عن خصائص الحدث وطبائع الشخصيات ومواقفها ودواخلها))⁴
ويضطلع الحوار بوظائف عديدة فمن خلاله نعي الأحداث ونتتبع نموها لأنه يساعد في تطورها باتجاه معين، ويظهر الحركة النفسية الداخلية في أعماق الشخصية وكشف كوامنها. ومن أمثلة الحوار التي وظفها الشاعر في سيرته الذاتية الشعرية الحوار الذي جرى بينه وبين صديقه ((لكنه حين جاء سهيل إدريس إلى مكتبتي ذات صباح وقرأت له القصيدة صرخ كطائر ينزف: أنشرها... أنشرها...))

¹ نزار قباني قصتي مع الشعر ، ص52.

² المرجع نفسه، ص 219.

³ المرجع السابق، ص 222.

⁴ الديلمي، منصور نعمان نجم: إشكالية الحوار بين النص والعرض في المسرح، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص71.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

قلت لـ"سهيل": إن القصيدة من نوع العبوات الناسفة التي قد تحرق مجلاته أو تعرضها للأغلاق أو المصادرة... نظر إلي "سهيل" بعينين حزينتين جمعت فيهما كل أمطار الدنيا وكل أشجار الخريف المتكسرة وقال بنبرة يمتزج فيها الألم الكبير بالصدق الكبير: ((إذا كان حزينان قد دمر كل أحلامنا الجميلة... وأحرق الأخضر واليابس، فلماذا تبقى (الآداب) خارج منطقة الدمار والحرائق؟... هات القصيدة...))¹

وهذا المقطع يعكس لنا خوف واضطراب الشاعر لما سيقدم عليه وكان متأكدا من خطورته، وإن هذا الحوار لا يسهم في نقل الأحداث التي عاشها الشاعر وهي تعكس مدى صدقه وواقعيته في سيرته الذاتية الشعرية.

الفرع الرابع: اللغة.

اللغة أداة التواصل والتوصيل بين الأفراد، ووسيلة تعبر عن مشاعر والانفعالات، ((وهي ظاهرة أو حقيقة اجتماعية تستخدم لكي تثير عند الأفراد الآخرين استجابات محددة))² ((تتقدم اللغة في سيرة "نزار قباني" الشعرية بوصفها الأساس الأول والحاسم يعتمد عليه في صياغة شخصيته الشعرية إذ أن دينامية لغته وقدرته الفائقة على الإيهام هي التي استطاعت أن تخلق منه مدرسة شعرية متفردة، فهو يحتفي بالمفردة احتفاء خاصا يصل إلى حد خلقها من جديد - إيقاعا ودلالة - لقدرته على اكتشاف أسرار الكلمة وثنائها وعوالمها الداخلية...³

ونجد نزار يقول ((للكلمات الجميلة أشياء جميلة تماثلها، ولل كلمات ذات الجرس الوقور هوية عمق... هذه اللغة الشامية التي تتغلغل في مفاصل كلماتي، تعلمتها في البيت

¹ نزار قباني قصتي مع الشعر، ص 214.

² الهواري أحمد إبراهيم: نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية الإنسانية، دار المعارف القاهرة، ط2، سنة 1983، ص 77.

³ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 85.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

المظلة الذي حدثكم عنها... كانت اللغة الفرنسية لغتي الثانية... إنني أدين لخليل مردم بك بهذا المخزون الشعري الراقي الذي تركه على طبقات عقلي الباطني ¹

إن ثراء تجربة الحياة التي عاشها الشاعر وتنوعها انعكس إيجابيا على ثراء لغته وشموليته فهو يقول: ((من هذا المخزون الهائل، من الخطوط والألوان والأصوات ومن رائحة البواخر الحادة ورائحة الفنادق... ونوافذ القطارات... آلاف من الأشجار ومناديل المودعين... ضجر المقاهي... من سفري داخل الكتب وسفري داخل الإنسان... تكون عندي قاموس شعري لا تنتمي مفرداته لأرض معينة أو وطن معين هذا القاموس الشعري ليست له جنسية فهو ليس دمشقيا ولا مصريا ولا لبنانيا ولا فرنسيا... إنني في شعري أحمل جنسيات العالم كله وأنتمي إلى دولة واحدة هي "دولة الإنسان" ²

استطاع "نزار قباني" أن يطرح نموذجا لغويا جديدا في الكتابة الشعرية قادرا على استيعاب تجاربه وخلقه نصه المتميز الخاص. وأستنتج من كل ما سبق في هذا المبحث أن الشاعر الراحل "نزار قباني" كان موجود شكلا وروحا في كتابه "قصتي مع الشعر" من حيث تدوين اسمه على الغلاف والعنوان الذي يعكس ذاتيته مع الشعر أي خص الحديث عن مرحلة هامة من سيرته الذاتية وهي تجربة الشعرية معناها انطلاقه من العام إلى الخصوصية وصورته التي كانت تغطي الكتاب كله وأسلوبه المتميز في سرد ووصف رائعين تغدو نصوصه وكأنها قصائد وهذا لا يتأتى من العدم بل من الثقافة الواسعة والمحيط الذي نشأ فيه.

وللحديث عن المحيط الذي عاش فيه وتأثيره عليه سأوضحه في المبحث الثالث بعنوان الفضاء السيرذاتي والمتكون من مطلبين المكان والزمان.

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 36-51.

² المرجع نفسه، ص 46 - 99.

المبحث الثالث: الفضاء السيرذاتي.

إن صلة الفضاء بالزمان والمكان في النص الحكائي تبدو أكثر عمقا من بقية المكونات السردية فهما ((يمثلان العامل الأساسي في تحديد سياق الآثار الأدبية من حيث اشتملها على معنى إنساني))¹.

وسأوضح هذا على شكل مطلبين:

المطلب الأول: المكان.

إن السؤال الذي يتبادل للذهن هل المكان هو الفضاء؟ وما هو الفضاء السيرذاتي؟

الفرع الأول: تعريف الفضاء السيرذاتي.

يعد مصطلح (الفضاء Espace) من المصطلحات الوافدة على نقدنا العربي عن طريق (الترجمة) وهو يختلف في مفهومه عن مصطلح (المكان lieu) وفي ذلك يذهب سعيد يقطين " إلى أن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي وإن كان أساسيا أنه يسمح لنا بالبحث عن فضاءات تتعدى المحدود ويجسد لمعانقة ((التخلي والذهن ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء))² وأفهم من هذا، المكان مرتبط بالإطار الجغرافي والفضاء يرتبط بالحالة النفسية والشخص ذاته الذي له علاقة بالمكان.

إن الفضاء لغة هو المكان الواسع من الأرض والفعل، فضا: يفضو فهو فاض وفضا المكان وأفضى: إذ اتسع.

والفضاء السيرذاتي هو قريب جدا من الفضاء الروائي إذ أن السيرة الذاتية من أقرب الأنواع الأدبية إلى الرواية بصورة عامة وإلى رواية السير الذاتية بصورة خاصة.

¹ صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، سنة 1987، ص326.

² سعيد يقطين: قال الراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص 240.

ومن هنا يمكن تبني مفهوم الفضاء الروائي مفهوما للفضاء السيرذاتي أيضا الذي ((هو الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب أو " الروائي "))¹
((إذن فالفضاء يشتمل على المكان والزمان لاكما هما في الواقع ولكن كما يتحققان داخل النص، مخلوقين ومحورين من لدن الكاتب ومساهمين في تخصيص واقع النص وفي نسيج نكهته المميزة))²

وبهذا فإن علاقة الإنسان بالمكان علاقة جدلية تتشكل من خلال عملية التأثير والتأثير، والمكان في النص السيرذاتي أحد الأركان الرئيسية التي تقوم عليها العملية السردية حدثا وشخصية وزمنا ((فهو الشاشة المشهدية العاكسة والمجسدة لحركته وفاعليته))³
لقد شهد المكان على الصعيد الفني عدة تقسيمات وكان تقسيم "غالب هالسا" أكثر ملائمة للنص السير ذاتي إذ حدده كتجربة معاشة والذي يمكن أن نطلق عليه بالمكان الواقعي أي ذلك المكان الذي له وجود فعلي سواء بقي على ما هو عليه أم ثبتت واقعيته في الذاكرة بعد معاشته على أرض الواقع الذي كان له تأثير كبير في التكوين الشخصي.
وعند تقصينا المكان في السيرة الذاتية الشعرية لنزار في كتابه "قصتي مع الشعر" نجده يتنوع.

الفرع الثاني: أماكن الإقامة الدائمة.

إنه بالنسبة لأماكن الإقامة الدائمة نجده يتحدث عن البيت والدار الدمشقية، هذا المكان الذي ارتبط به ارتباطا وثيقا في فترة طفولته فهو يقول عنه: ((لا بد من العودة مرة أخرى إلى الحدث عن دار " مئذنة الشحم " لأنها المفتاح الى شعره ... هل تعرفون معنى أن يكن الإنسان في قارورة عطر؟ بيتا كان تلك القارورة... والذين سكنوا دمشق وتغلغلوا في

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية، ص 119.

² المرجع نفسه، ص 126.

³ المرجع السابق، ص 126.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

حاراتها وزواربها الضيقة. يعرفون كيف تفتح لهم الجنة ذراعيها من حيث لا ينتظرون... بوابة صغيرة من الخشب تفتح ويبدأ الإسراء على الأخضر والأحمر والليلكي وتبدأ سيمفونية الضوء والظل والرخام... هذا البيت الدمشقي الجميل استحوذ على كل مشاعري وافقدني شهية الخروج إلى الزقاق... كما يفعل كل الصبيان في كل الحارات... ومن هنا نشأ عندي هذا الحس "البيتوتي" الذي رافقني في كل مراحل حياتي... إنني أشعر حتى اليوم بنوع من الإكتفاء الذاتي يجعل التسكع على أرصفة الشوارع واصطياد الذباب في المقاهي المكتظة بالرجال عملاً ترفضه طبيعتي¹

ويكمل قائلاً: ((طفولتي قضيتها تحت "مظلة الفيء" والرطوبة التي هي بيتنا العتيق في "مئذنة الشحم"... كان هذا البيت هو نهاية حدود العالم عندي، كان الصديق، الواحة، المشتى والمصيف... هذا البيت المظلة التي ترك بصماته واضحة على شعري تماماً كما تركت غرناطة وقرطبة واشبيلية بصماتها على الشعر الأندلسي²))

من خلال هذه الفترة يتبن أهمية هذا المكان بالنسبة للشاعر بحيث يغدو فضاء سيرذاتي إذ هو المصدر الأول في تكوينه فهذا البيت الدمشقي عوضه عن الشارع والمقهى والمحيط الخارجي، وقد لبي كل احتياجاته ورغباته الطفولية وترك بصمة كبيرة في تاريخ حياته لا يمكن أن تمحي ولكن يتطلب القليل من الذاكرة والرجوع إلى الوراء لنقل حيثيات وصفات هذا المكان الذي كان مفتاحاً له في تجربته الشعرية .

الفرع الثالث: أماكن الانتقال العامة والخاصة.

أما أماكن الانتقال العامة فقد تجسدت في الطريق المؤدي إلى المدرسة بحيث يمر على السوق فهو يقول: ((كانت المدرسة على بعد خطوات من بيتنا أي أنها كانت امتداداً طبيعياً للبيت وحجرة أخرى من حجراته... وبالتالي فإن طريقنا إلى المدرسة كان طريقاً فلكلوريا مغرقاً في شاميته... سوق البزورية، سوق البهارات والتوابل ومملكة العطارين كان

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 31-34.

² المرجع نفسه، ص 34-35.

أكثر أسواق دمشق تأثيراً في أنفي وفي نفسي ولا تزال تعبق في ثيابي منه حتى اليوم روائح الفلفل... كان المرور من سوق البزورية في الذهاب والإياب إلى المدرسة، نوعاً من الإسراء على غيمة من العطر... إذن فالطريق إلى المدرسة كان مثيراً للأنف واللسان معا ¹)) ومن أماكن الانتقال العامة نجده يتحدث عن البحر بحكم أنه كثير السفر وقد أثر هذا في تجربته الشعرية فهو يقول: ((أعجبتني لعبة السفر وأدمنت دور البحر، حتى صارت سطوح المراكب سرسري... ومقاعد الطائرات وطني... وبقيت مأخوذاً بلعبة السفر عشرين عاماً... إنني أدين للرحيل بثلاثة أرباع شعري... رست مراكبي أيضاً على شواطئ الصين... لقد كان البحر دائماً صديقي... صوت البحر أنساني متاعب الرحلة... ²

وبالنسبة لأماكن الانتقال الخاصة فنجد المدرسة التي تعلق بها ورأبأنها امتداد طبيعي لبيئته، فقد كان لها تأثير في تكوينه فهو يقول عنها: ((مدرستي الأولى هي "الكلية العلمية الوطنية" في دمشق، دخلت إليها في السابعة من عمري وخرجت في الثامنة عشر أحمل شهادة البكلوريا الأولى "القسم الأدبي"... موقع المدرسة كان موقعاً بمنتهى الأهمية فلقد كانت مزروعة في قلب مدينة دمشق القديمة حيث كنا نسكن ومن حولها ترتفع مؤذن الجامع الأموي وقبابه ويتألف قصر الأعظم برخامه ومرمره... وحول مدرستنا كانت تلتف كالأساور الذهبية أسواق دمشق الظليلة: سوق الحميدية، سوق الحرير، القطن... كانت المدرسة على بعد خطوات من بيتنا أي أنها كانت امتداداً طبيعياً للبيت... ³))

وتحتل المدرسة المرتبة الثانية بعد البيت فكانت لا تختلف عنها من حيث علاقة الشاعر بهما فقد لبنا احتياجاته وساهمتا في تكوينه وبلورة تجربته الشعرية.

وهناك أماكن أخرى ولكنها محطات مر بها الشاعر كضرورة تستدعيها الحياة فمنها المعاهد والكلليات التي درس بها والبلدان التي سافر إليها.

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 41-42.

² المرجع نفسه، ص 98-110.

³ المرجع السابق، ص 40-41.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

فهو يتحدث عن التجربة الانجليزية والاسبانية وكيف أثرتا على تجربته الشعرية إذ أن المكان هنا تجسد في البلدين انجلترا واسبانيا ولكنهما تحولتا إلى فضاء سيرذاتي إذا طغت عليه أحاسيس الشاعر ومكنوناته، فهو يقول: ((بعد القاهرة شردت في بلاد الله كلها وتناثر رمادي على كل البحار ومن بين جميع تجاربي الدبلوماسية تبرز تجربتان حاسمتان في تاريخي الشعري: التجربة الانجليزية، والتجربة الاسبانية...لقد منحتني لندن الطمأنينة الفكرية وغسلت أمطارها أعشابى الشرقية العطشى وأعطتني براريها المكشوفة واللانهائية الخضرة أول دروس الحرية. وفي مدرسة الحرية هذه... كان كتابي "قصائد"...أما التجربة الاسبانية فقد كانت مرحلة الانفعال القومي والتاريخي))¹

وتظهر الحالة النفسية أكثر عندما تكلم عن تجربته الصينية أي أن المكان تحول إلى فضاء سيرذاتي بالنسبة للشاعر "نزار قباني" فهو يقول: ((اللون الطاغي على المرحلة (الصينية) من حياتي هو اللون الأصفر... إن الأصفر لون عميق وهادئ ومتحضر... ومن هذا الزواج بين اللون الأصفر وبين نفسي ولد طفل جميل اسمه الحزن... داهمني الحزن للمرة الأولى في جنوب شرق آسيا كطائر نورس مبلل الجناحين ولم أكن قد التقيت بطائر الحزن من قبل... كنت دائماً حصاناً يركض على أرض الفرع... وفي الصين تفتحت زهور الشحوب على دفاتري وكبرت حتى صارت أوراقى غابة من الدمع... وهذه الايقاعات الرمادية تسمع بوضوح في قصيدتين من أكثر قصائدي شحوباً وهما "نهر الأحزان" و " ثلاث بطاقات من آسيا "))²

الفرع الرابع: فضاء المدينة (البلدان)

ويكمل الحديث بذكر البلدان التي أثرت فيه فهو يقول: ((لكي يكون هذا الفصل عن الرحيل متكاملًا لا بد لي من حديث عن لبنان الذي أصبح منذ ربيع عام 1966 وطنًا لي ولكلماتي))... فلبنان كان الإناء الذي احتوى شعري واعطاء شكله ولونه ورائحته... نصف

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص106-108-113.

²المرجع نفسه، ص108-113.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

مجدي محفور على منبر (الوست هول) و (الشابل) في الجامعة الأمريكية في بيروت...والنصف الآخر معلق على أشجار النخيل في بغداد ومنقوش على مياه النيلين الأزرق والأبيض في الخرطوم...طبعاً هناك مدن عربية أخرى تحتفي بالشعر وتلوح له بالمناديل ولكن بيروت وبغداد والخرطوم...تتنفس الشعر وتلبسه وتكحل به...¹

وتتضح حالته النفسية من خلال ارتباطه بهذه البلدان بحيث كانت ملاذاً للشاعر "نزار قباني" ومرتعا لإشعال جذوته الشعرية فهو يقول: ((إن قراءاتي الشعرية في السودان والعراق... حفلة ألعاب نارية... على أرض الرماد الساخن... وفي بغداد كنت اختنق في حديقة كلية التربية بحبال الحب قلت إن صلتى بلبنان ليس صلة طارئة، فلقد اشتبكت بلبنان وجوديا وثقافيا وشعريا منذ طفولتي الأولى... كان أبي يجيء بنا إلى بيروت لنقضي عطلتنا الصيفية... كنت أحس أنني أنتمي تلقائياً إلى الهائلة الشعرية اللبنانية))²

إذن من خلال هذه المقاطع تبين أن للمكان حضور خاص في التجربة السيرية الذاتية الشعرية لنزار قباني فهو ليس المكان الجغرافي فقط بل هو الفضاء الواسع الذي ارتبط بالحالة النفسية الشعورية الداخلية للشاعر.

المطلب الثاني: الزمن، مفهومه وطبيعته وتقنياته.

للزمن أهمية ليس في النص السردي فحسب بل في عموم الأدب، وقد حظي هذا المحور باهتمام كبير من قبل النقاد والدارسين ومرد هذا الاهتمام الكبير بالزمن يعود إلى مقولة أساسية هي أن إشكالية الأدب القصصي عموماً مردها إلى إشكالية زمنية³

الفرع الأول: مفهوم الزمن في السيرة الذاتية.

للزمن فاعلية كبيرة في النص السردي فهو إحدى الركائز الأساسية التي تستند إلى العملية السردية، ويعد الزمن بكل ما ينطوي عليه من إشكالات وتداخلات إحدى الركائز

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 115-118.

² المرجع نفسه، ص 118.

³ خليل شكري هباس: سيرة جبر الذاتية، ص 213.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

الأساسية في خلق النص السيرذاتي فالماضي بوصفه البنية الزمنية الأساس في السيرة يقدم الحوادث المطلوبة استقدامها مجردة، وتقوم فعاليات التذكر... باستلام هذه الحوادث على

شكل مادة أولية لا يصح نقلها كما هي في كيان فعل أدبي خلاق ¹((

((وهناك على الأقل سبب واحد لعدم اهتمام كتاب السيرة الذاتية الواضح بالتسلسل الزمني هذا السبب هو إحساس بعضهم منهم بأن هذا التسلسل في حد ذاته لا يطابق الواقع بعبارة أدق إذا كان يطابق الواقع حقا أصبحت السيرة الذاتية سردا متقطعا لا يفهم بينما الواقع لم يكن كذلك... فلكي يبقى الكاتب على وحدة كل هذه المشاهد واستقلاله النسبي، لا يختار إلا الذكريات التي ترتبط به مباشرة ويحذف بالتالي كل التفاصيل الغريبة عنه، حتى تلك التي كانت ماثلة للوعي عندما بعث الماضي القضية إذن قضية تسلسل زمني ناتج عن اختيار بعينه ²((

ويتخذ الزمن لدى كاتب السيرة الذاتية أشكالا متعددة فقد يكون مكونا من لحظات متتابعة أو متناثرة وأحيانا متافرة ³((إذن فهو يقوم على الانتقائية ولكن هذه الانتقائية ليست عشوائية وإنما هناك نوع من الترابط يعمد إليه الكاتب من خلال ايجاد شبكة من العلاقات تربط الأحداث بعضها ببعض الآخر.

الفرع الثاني: الروابط الزمنية.

يقصد بالروابط الزمنية جملة من العلاقات التركيبية التي تنتظم في نطاقها المقاطع السردية المواقع الزمنية ويتجلى هذا في الروابط الظاهرة والعميقة ⁴((

¹ خليل شكري هياس، سيرة جبرا الذاتية، ص213.

² سامية أحمد أسعد: أدب السيرة الذاتية، مجلة الفيصل، العدد 67، محرم 1403هـ، السنة السادسة، تشرين الأول (نوفمبر) 1982، ص 87.

³ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية، ص214.

⁴ المرجع نفسه، ص215.

البند الأول: الروابط الزمنية الظاهرة.

تتجسد في ثلاث مبادئ الاستعادة والتداعي والتتابع.

1- **الاستعادة:** يقوم هذا المبدأ على استعادة الراوي في بعض الفصول عناصر من فصول سابقة لأهمية ما يكتسبها أو ليمهد لها للفصل اللاحق، فنجد الشاعر "نزار قباني" استعمل هذا عندما تحدث عن أسرته في " الشعر قدري" حيث قال: ((أنا من أمة تتنفس الشعر وتتمشط به وترتديه...))¹ ويشير إلى ذلك في " الولادة على سرير أخضر" حيث قال: ((ولدت في بيت من بيون دمشق القديمة، ويقول في أسرتي وطفولتي ((أسرتنا من الأسر الدمشقية المتوسطة الحال...))²

ويأتي ويستعيد الحديث عن الدار التي ولد فيها في "دارنا الدمشقية" وهذا لأهميتها في حياته فأراد أن يعطينا وصفا عميقا فهو يقول: ((لأبد من العودة مرة أخرى إلى الحديث عن دار "مئذنة الشحم" لأنها المفتاح الشعري والمدخل الصحيح إليه...))³ فالاستعادة واضحة في قوله لأبد من العودة مرة أخرى الى الحديث عن دار مئذنة الشحم لأنه فيما سبق مر عليها فقط.

2- **أما التداعي:** فكان غرضي بحيث جمع الفصول الأولى وهي الولادة على سرير أخضر، أسرتي وطفولتي، مدرستي الأولى، تحطيم الأشياء، الأسماك تناولت موضوعا واحدا (عرضا) وهو طفولة الشاعر وأهم ما ميزها.

أذهلتني المفاجئة، قفز البيت الأول من فمي كأنه سمكة حمراء تنط من أعماق الماء... بعد دقيقتين قفزت الثانية... بعد عشر دقائق قفزت الثالثة... وللمرة الأولى وفي سن السادسة عشرة وبعد رحلة طويلة عن نفسي... نمت شاعرا... دخلت إليها في السابعة من عمري كنت أبحث عن دور مناسب أعبه... مدرستي الأولى... دخلت إليها في السابعة من

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 16-26-29-31.

²المرجع نفسه، ص 26.

³المرجع السابق، ص 29-31.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

عمري وخرجت في الثامنة عشرة....يوم ولدت في 21 آذار (مارس) 1923 في بيت من بيوت دمشق القديمة (...)¹

فهذه المقاطع جمعها غرض واحد وهو طفولة الشاعر فنجدته يتحدث عنها بالترتيب الزمني من السابعة إلى العاشرة إلى السادسة عشر والثامنة عشرة.

3- أما **التتابع**: في الفصول كان على أساس التكامل لا التقابل.

فهو يكمل الحديث عن ما قاله فيقول: ((في الثانية عشرة من عمري اجتاحتني حيرة لا شبيه لها، من أين أبدأ؟ كيف أبدأ؟... غرفت سنتين أو ثلاثا في قوارير اللون والصبغات... في الرابعة عشرة سكنني هاجس الموسيقى))²

ويتجسد التتابع في اللغة الثالثة والجمهور بحيث يركز على فكرته وهي اهتمامه بالجمهور (المتلقي) إذا أوجد لغة ثالثة تربطه به فهو يقول: ((رفعت الكلفة بيني وبين لغة (لسان العرب) وأقنعتها أن تجلس مع الناس في المقاهي والحدائق العامة... الشعر عندي هو سفر إلى الآخرين... الشاعر صوت والشعر يد... والجمهور باب... والشاعر الذي لا يتجه بشعره إلى أحد يبقى نائما في الشارع...))³

البند الثاني: الروابط الزمنية العميقة.

هناك رابط عميق يربط كل فصول الكتاب وهو محور المعرفة وصراع الآن مع المحيط من أجل تحقيق الذات.

الفرع الثالث: طبيعة الزمن.

((هناك زمانان أساسيان يمثلان بعدي البناء في النص الحكائي في هيكله الزمني:

أ- زمن طبيعي (الخارجي، الظاهري) يمثل الخطوط العريضة التي يبنى عليها الحكائي.

ب- الزمن النفسي (داخلي، باطني) يمثل الخيوط التي تتسج منها بنية النص))⁴

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 63-56-60-122-157.

²المرجع نفسه، ص 60.

³المرجع السابق، ص 157.

⁴خليل شكري هباس: سيرة جبر الذاتية، ص 227.

البند الأول: الزمن الطبيعي.

((هو الزمن الذي يخضع لمقاييس موضوعية ومعايير خارجية تقاس بالسنة والشهر واليوم والصباح والظهيرة والمساء والليل والنهار...))¹

وفي سيرة الشاعر "نزار قباني" تجسد الزمن الطبيعي في قوله: ((يوم ولدت في 21 آذار (مارس) 1933... وكان الربيع يستعد لفتح حقائبه الخضراء... حين نشرت عام 1954 قصيدتي (خبز وحشيش وقمر... في لندن 1952-1955... كنت إذا اضطجعت في سريري أرفع يدي في الظلام وأرسم في الفراغ خطوطا... وأشكالا... حين كانت طيور النورس تلحس الزبد الأبيض عن أقدام السفينة المبحرة من بيروت الى ايطاليا في صيف عام 1939 ففي عدد شهر مارس 1946... ضمن نطاق هذا الحزام الأخضر... ولدت وحبوت ونطقت كلماتي الأولى... ومع مغرب الشمس كنا نعود إلى البيت حيث كانت أمي الملكة...))²

فتجسد هنا الزمن من خلال ذكر فصل الربيع والصيف والعام والتاريخ وهنا ربطه بالوصف، ونجد أيضا الزمن التاريخي حاضرا في قوله: ((كانت معلقة"عمرو بن كلثوم" محطة من محطات التاريخ... وإذا كانت مقامات الحريري إيقاعا لغويا على سطح النحاس... إذا كانت باريس قد تسامحت مع بودلير حين أهداها أزهاره السوداء... القصيدة العربية ظلت حتى العشرينيات من هذا القرن تلبس العباة الحجازية وتشرب في الوقت ذاته الويسكي في فنادق القاهرة وبيروت... هذا يستعير سيف أبيفراس... وذلك يستعير حصان عنتره... وثالث يستعير عباة ابن الرومي... إن شهريار كان فنانا وإنسانا وكان أحادي النظرة في الحب... القصيدة العربية قد انفصلت عن شجرة العائلة وهربت نهائيا من (بيت الطاعة (ووصاية الأجداد))³

¹ خليل شكري هباس: سيرة جبر الذاتية، ص 227.

² نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 26-39.

³ المرجع نفسه، ص 92-84-154.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

نجد الشاعر يستعمل الزمن التاريخي بكثرة فهو يقول أيضا: ((إننا نلجأ إلى المتنبّي... لأن أبا نواس كان جزءا من حانات بغداد... يموت العصر العباسي دخل الشعر في العدمية المطلقة... شعر جميل بثينة وقيس بن الملوّح... لأن لوركا ذبح تحت شجرة الزيتون وهو يغني للحرية في إسبانيا...))¹

ومن جهة أخرى نجد الشاعر "نزار قباني" يستخدم الزمن الطبيعي الديني وتجسد هذا في قوله: ((ليس الشعر نارا سماوية ولا ذبيحة مقدسة ولا خارقة من خوارق الغيب... مسئلتها كلمات السيد المسيح (رب اغفر لهم فإنهم لا يعملون)... لا علاقة بالأدب باليانصيب والشهرة ليست مائدة رباتية تهبط من السماء))²

إذن السيرة الذاتية الشعرية لنزار توفرت فيها القوانين الزمنية التي تدل على الزمن الطبيعي وكان هذا الاسترجاع بفعل الذاكرة.

البند الثاني: الزمن النفسي.

هناك فترات زمنية عاشها الشاعر وعكس لنا نفسيته وحالته الشعورية بوضوح منها ما قاله عن حزيران: ((حزيران الذي سأتكلم عنه حزيران النفسي لا العسكري... إنني لا أذكر أنني كتبت في كل حياتي قصيدة بمثل هذا التهيج والعصبية... كان الخامس من حزيران الجنين الميت الذي حملناه الى المقبرة ليلا حتى لا يراه المارة...كنت دائما حصانا يركض على أرض الفرح... ويصهل مغتبطا بالشمس والعشب والحرية... وفي الصين تفتحت زهور الشعوب على دفاتري وكبرت حتى صارت أوراقها غابة من الدمع...))³

يختلف هذا الزمن عن الطبيعي ويمكن معرفته وتحديد سرعته أو بطئه من خلال اللغة التي يعبر عن الحياة الداخلية للشخصية، فالزمن مثلا يكون طويلا وقاسيا حين تكون الشخصية حزينة، ولا تشعر بمرور الزمن عندما تكون سعيدة أي أن ((البعد الزمني مرتبط

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 160.

²المرجع نفسه، ص 195-217.

³المرجع السابق، ص 210-113.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

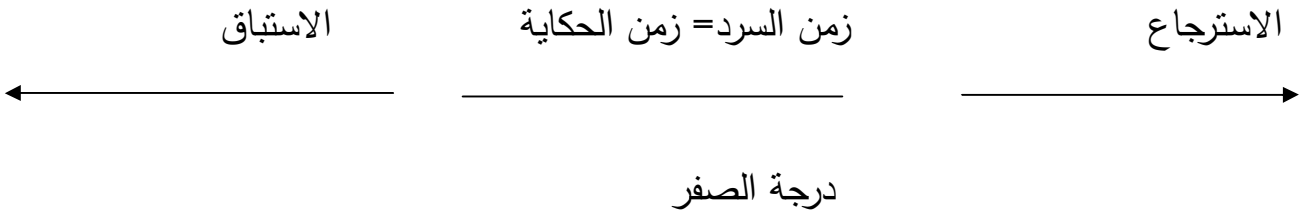
هنا بالشخصية لا بالزمن حيث الذات تأخذ محل الصدارة ويفقد الزمن معناه الموضوعي ويصبح منسوجا في خيوط الحياة النفسية ¹((

الفرع الرابع: تقنيات الزمن.

البند الأول: ترتيب الزمن.

((إننا نكون إزاء مفارقة زمنية توقف استرسال الحكي المتنامي وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقا من النقطة التي وصلتها القصة ²((وبين حركتي الاسترجاع والاستباق يسلم "جيرار جنيت" ضمنا بوجود نوع من درجة الصفر التي تمون حالة توافق زمني تام بين الحكاية والقصة .

ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي :



وهناك تسميات متعددة للاسترجاع والاستباق منها: ((الاستنكار، اللوحي، الاستحضار والرجعة، الارتداد، الارتجاع الفني، الاستشراق، السابقة، التوقع ³((
وهنا نستعمل الاستنكار والاستباق لأن الاستنكار يتلاءم مع طبقة الموضوع وهو مشتق من فعل التذكر، والذاكرة هي الركيزة الأساسية للنص السيرالذاتي.

أ- الاستنكار:

((إن الاسترجاع يؤلف نوعا من الذاكرة القصصية التي تربط الحاضر بالماضي وتفسره وتعلله وتضيء جوانب مظلمة من أحداثه ومسارات هذه الأحداث في امتدادها أو انكساراتها ⁴((

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية، ص 233-235.

² المرجع نفسه، ص 235.

³ المرجع السابق، ص 235-237.

⁴ المرجع نفسه، ص 237.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

تتفاوت المقاطع الاستذكارية من حيث المدى فهناك استذكارات بعيدة المدى تعود بالقارئ إلى ماضي بعيد وأخرى قريبة تعود إلى الماضي القريب.

ف نجد الاستذكار ذات المدى التاريخي وهو محدد تحديدا دقيقا لأنه يرتبط بالجانب التاريخي وقد أشرت إليه سابقا ونجد أيضا الاستذكار ذات المدى الديني، وتم الإشارة إليه أما الاستذكارات ذات المدى البعيد فيتجسد عندما يعود بنا الشاعر إلى مرحلة طفولته وعند ولادته حيث يقول: ((كل الذي أعرفه أنني يوم ولدت كانت الطبيعة تنفذ انقلابها على الشتاء... أما في الخارج فقد كانت حركة المقاومة ضد الانتداب الفرنسي تمد على الأرياف السورية...))¹

وهو نوع الاستذكارات المحددة بحيث يتم تحديد نقطة الرجوع إلى الماضي بدقة ووضوح يشار إليه بصراحة مما يضيف على الأحداث نوعا من الواقعية التسجيلية، فهو يقول عن بيته " مئذنة الشحم": ((أسود الرخام حول البركة الوسطى تملأ فيها بالماء... وتتفخه... وتستمر اللعبة المائية ليلا ونهارا... لا النوافير تتعب... ولا ماء دمشق ينتهي... إذا أردت أن أصنف أبي أصنفه دون تردد بين الكادحين، لأنه أنفق خمسين عاما من عمره يستنشق روائح الفحم الحجري... في العاشرة من عمري كنت أبحث عن دور مناسب أعبه... في الحادية عشر من عمرنا نصبح عاشقين))²

أما الاستذكار الغير المحدد في قوله: ((ولست أنسى أبدا ذلك اليوم الذي هدد فيه ببارودة صيد مؤذنا قبح الصوت.))³

أما إذا تحدثنا عن سعة الاستذكار فهي من النوع القصيرة والمتوسطة.

¹ خليل شكري هياس: سيرة جبر الذاتية، ص26.

² نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 28-80-84-103.

³ المرجع نفسه، ص136.

ب- الاستباق:

إن الاستباق لا يقل حضورا عن الاستذكار لأن السيرة الذاتية من أكثر الأنواع الأدبية التي تعطي لروائي فرصة في الإشارة إلى الأحداث اللاحقة لأنه يحكي قصة حياته وله علم بالأحداث.

فمن الاستباق نذكر: ((كانت القاهرة أول بعثة دبلوماسية أذهب إليها وصلت إليها شابا في الثانية والعشرين من العمر وقضية بها ثلاثة سنوات...))¹

ونجد الاستباق باعتباره تصريحاً وهو قريب المدى عندما تكلم "حبيبته" فقال: ((لا أريد أن أستعرض مواهبي الدنجوانية...)) وقال في "أنا والدنجوانية": إن الدنجوانية صفة لا تنطبق علي أبدا... ويقول أيضا: من أين يأتي الشعر؟...²

البند الثاني: تسريع الزمن.

أ- الخلاصة:

في قوله: ((هكذا دخلنا، معتر ورشيد وصباح وهيفاء وأنا إلى الكلية العلمية الوطنية وقضينا على مقاعدها أجمل أيام العمر... فأنا أيضا ضربتني دمشق بالحجارة والبندورة والبيض الفاسد ... حيث نشرت عام 1954 قصيدتي خبز وحشيش وقمر))³ وقد تجلت عملية الخلاصة في السيرة الذاتية الشعرية لنزار والقصد منها هو المرور السريع على فترات زمنية طويلة وتقديم عام للمشهد وغيرها.

ب- الحذف

((هو تقنية سردية يشير إلى الجزء المحذوف من النص وتؤدي هذه التقنية دورا حاسما في اقتصاد وتيرة السرد وتسريعا، فهو من الوسائل النموذجية فضلا عن الخلاصة في تسريع

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص103.

²المرجع نفسه، ص 147-43-39.

³المرجع سابق، ص393-43.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

السرد عن طريق إلغاء الزمن الميت في القصة، والقفز بالأحداث إلى الأمام بأقل إشارة أو بدونها ¹((

والسيرة الذاتية الشعرية "نزار قباني" مليئة بالحذف وعلاماته توالي النقاط فهو يقول: ((كنت أريد أن يكون لي منزل شعري صغيرا أرتبه على ذوقي... وأوزع أثاثه على ذوقي... وأختار ورق جدرانه على ذوقي...))²

البند الثالث: تعطيل الزمن.

أ- **المشهد الحواري:** يقول طه عبد الفتاح في المشهد: ((يساعد على تصوير الشخصية وتطوير الأحداث ويوضح جانبا من الصراع...))³

ونجد الحوار الخارجي متوفر عند نزار قباني في: ((قالت لي إحداهن مرة : أنت لا تحبني لأنك تفكر كثيرا أحببتها: بل أنا أحبك... لا شيء أفكر كثيرا))⁴

وفي المقطع التالي حوار خارجي وداخلي حيث يقول: ((كثيرا ما سألني أصدقاؤني: إلى متى ستستمر في عملية الجلد العلنية التي بدأتها وأكدتها وأنا أسأل بدوري: وماذا تغير من الواقع العربي حتى يستريح غضبي.))⁵

وهذا الحوار الداخلي يعكس لنا قلق واضطراب الشخصية النزارية.

ب- **الوقف الوصفية:** ((هي تقنية زمنية تعمل على إيقاف أو إبطاء حركة السرد المتنامية إلى الأمام بهدف تقديم مشهد قصد التأمل أو شيء ما))⁶

¹ خليل شكري هياس : سيرة جبر الذاتية، ص 261.

² نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 125.

³ خليل شكري هياس : سيرة جبر الذاتية، ص 265.

⁴ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 234.

⁵ المرجع نفسه، ص 150.

⁶ خليل شكري هياس : سيرة جبر الذاتية، ص 271.

الفصل الأول:----- تجليات السيرة الذاتية في كتاب "قصتي مع الشعر" لنزار قباني

والوصف يتواجد بكثرة في "قصتي مع الشعر" فنجد الشاعر مثلاً يصف الورقة قائلاً:
((الورقة أمامي جسد لا أعرفه... فراغ بارد يبحث عن يغطيه، ومرفأ مفتوح لكل البحارة
ولكل صيادي اللؤلؤ...وفي هذا المقطع يصف لنا والده: كان يعود إلينا من عمله في زقاق
(معاوية) كل مساء تحت مياه المزاريب الشتائية كأنه سفينة مثقوبة وإني أتذكر وجه أبي
المطلي بهباب الفحم وثيابه الملطخة بالبقع والحروق))¹

ونجد الوصف عندما تحت عن داره الدمشقية " الأدرج الرخامية تصعد... وتصعد على
كيفها... والحمائم تهاجر وترجع على كيفها... ولا أحد يسألها ماذا تفعل؟ والسماك الأحمر
يسبح على كيفه...ولا أحد يسأله إلى أين...؟ وعشرون صفيحة فل في صحن الدار هي كل
ثروة أمي...))²

ومن النتائج التي يمكن أن نسجلها في هذا الفصل بأن الشاعر الراحل في سيرته
الذاتية الشعرية استخدم كل الطرق والوسائل التي تدعم بأنه هو صاحب الكتاب والراوي
والشخصية الرئيسية، وأن الأحداث التي رواها قد عاشها فعلاً وقد حفرت في ذاكرته
وساهمت في بلورة تجربته السفرية، وقد اعتمد على تنشيط ذاكرته لاستعادة كل هذا والبوح به
استخدم الأسلوب التفسيري التصويري.

والسؤال الجدير بالطرح هنا ما هي إضافات "نزار قباني" لفن السيرة أو ما هو الشيء
الجديد الذي أتى به "نزار قباني" في كتابه السيري الذاتي الشعري "قصتي مع الشعر" لفن
السيرة.

وهذا ما سأحاول الإجابة عنه في الفصل الثاني.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 191-31.

²المرجع نفسه، ص 33.

الفصل الثاني

إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال

كتابه "قصّتي مع الشعر"

المبحث الأول: الإضافة للسيرة الذاتية واللغة واللون.

المبحث الثاني: نزعة نزار الانسانية بين الواقع والخيال.

تمهيد:

نستنتج من خلال ما نقدم أن "قصتي مع الشعر" هو عنوان الكتاب التاسع والعشرين من سلسلة كتب "نزار قباني" ضمن سلسلة أعماله النثرية، ويتضمن هذا الكتاب: الرقص بالكلمات، تحطيم الأشياء، اللغة الثالثة... ومواضيع أخرى.

أراد "نزار قباني" في هذا الكتاب صياغة قصته مع الشعر بنفسه قبل أن يكتبها غيره، كما أراد أن يعبر عن نفسه بنفسه ويكشف ستائرها قبل أن يفعل النقاد ذلك، فهو يعد نفسه الوحيد القادر على ذلك، هذا الكتاب هو بمثابة دفتر مذكرات سجل فيه نزار رحلته في غابات الشعر وهو نوع من السيرة الذاتية والشعر في داخل الذات ومخاطبتها بصدق وشفافية.

وبعد ما تناولت هذا الكتاب وبحثت عن مقومات النص السيرذاتي فيه، الآن أنا بصدد إخراج واستنتاج الإضافات التي حملها الكتاب في طياته لفن السيرة. وهذا مجسد في المبحث الأول الذي أنا بصدد دراسته الآن.

المبحث الأول:الإضافة للسيرة الذاتية واللغةواللون.

إن هذه الإضافات تم استنتاجها بعد تحليل ودراسة هذا الكتاب السيري الذاتي الشعري النزاري، ويتم توضيحها في المطلبين التاليين، وسأبدأ بالمطلب الأول.

المطلب الأول: الإبداع السيرذاتي واللغوي واللوني.

وسأوضحه في الفروع الآتية:

الفرع الأول: النموذج الجديد للسيرة الذاتية.

((إن الدقة والانضباط والوعي التام هي من المستلزمات الأولى التي يجب إن يتصف بها كاتب السيرة الذاتية، كي يستطيع النجاح في إنتاج سيرة تنتمي إلى هذا الشكل الأدبي، وفضلا عن هذه الصفات التي يجب أن يتمتع بها كاتب السيرة الذاتية، فإن بنية السيرة الذاتية يجب أن تركز على شبكة من العناصر الفنية والموضوعية التي تؤسس شكلها الأدبي، وفي مقدمة ذلك يتوجب على السيرة الذاتية أن تقدم حقائق هامة لها قيمتها في تاريخ الإنسان: كما أن بنائها الفني يجب أن يكون واضحا ومرسوما بدقة، وأن يكون الأسلوب الذي تكتب فيه السيرة ذا صياغة أدبية محكمة، وأن تحدد الغاية الأساس تحديدا علميا رصينا ويجب أن يصاحب كل ذلك تقديم المعاناة الخاصة في تذكر الحقائق وروايتها رواية فنية، وأن ترتب الأحداث والأفكار بمهارة بحيث لا تسمح بخلق فجوات تخلخل الكيان العام لبنية السيرة.))¹

ونفهم من هذا القول بأن كاتب السيرة الذاتية لا يكتبها إلا عند وصوله مرحلة النضج العقلي "الفكري" ويعي تماما خصوصية هذا الجنس الأدبي.

ويقول الناقد محمد صابر عيد في مقدمة كتابه السيرة الذاتية الشعرية: ((لقد شغلني فن السيرة واستهوتني أنماطه منذ زمن بعيد... وكانت السيرة الذاتية في مقدمة ما كنت أحفل به من أنماط السير الأخرى، غير أن السيرة الذاتية كانت أكثر قربا إلى نفسي مما عداها:

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص45.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

ولفت انتباهي في السنوات الأخيرة - وأنا أتابع من جهة أخرى التطورات الكبرى التي حصلت في القصيدة العربية الحديثة بعد ثورة الحداثة الشعرية نهاية الأربعينيات - مجموعة لا بأس بها

من السير التي كتبها شعراء الحداثة وقد كرست على نحو كلي للحديث عن التجربة الشعرية حصراً، وإذا ما اتسعت لتشمل جوانب حيوية أخرى في حياة الشاعر فإنها لا تتسع إلا لخدمة تجربة شعرية من قريب أو بعيد... بمعنى أن البؤرة السيرية تتمركز حول حياة الشاعر بوصفها تجربة أو مجموعة تجارب ويمكن حصر هذه السير التي ينطبق عليها مصطلح "السيرة الذاتية الشعرية" الذي وضعناه عنواناً لهذه القراءة لأربع تجارب هي:

(حياتي في الشعر) للشاعر صلاح عبد الصبور، (تجربتي الشعرية) للشاعر عبد الوهاب البياتي، و (قصتي مع الشعر) لنزار قباني، و (كشف عن أسرار القصيدة) للشاعر حميد سعيد¹))

ومن خلال هذا القول يتبين إن الشاعر "نزار قباني" هو من بين المجموعة التي درسها الناقد.

إن "قصتي مع الشعر" "نزار قباني" هي سيرة ذاتية شعرية وقد أشرت إليها سابقاً، وبذلك الشاعر الراحل أفرز نوعاً جديداً وأضافه إلى فن السيرة الذاتية وهو الذي خصها بتجربتها الشعرية.

ويكمل الناقد قوله موضحاً: ((واستثنينا من قراءتنا تلك التجارب التي كتبها شعراء آخرون من شعراء الحداثة ولم يكن لهم المركز لها التجربة الشعرية وإنما كان جزءاً منها وهي تطرح تجارب أخرى في الحياة أكثر منها في الشعر مثل (رماد الدرويش) للشاعر حسب الشيخ جعفر... (الصخرة والهادية) للشاعرة فدوى طوقان...))²

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 33-34.

² المرجع نفسه، ص 34.

((إن الكتابة عن الذات أمر ينطوي على الكثير من المخاطر المتعلقة بطريقة الاستجابة لدى المتلقي وأساليبها ونواياها، إذ ليس ثمة في أي بلد من بلدان العالم ما هو أبشع وأخطر من حديث المرء عن نفسه وعن أعماله، فإذا اعترفنا بالرضى عن عملنا قيل عنا أننا مغرورون، وإذا تحدثنا بتواضع عنه قال فينا ذوو العقول المختلفة إننا نتصنع التواضع))¹

"ونزار قباني" عندما كتب سيرته الذاتية كان يعي خطورة ما أقدم عليه وأعتبر السيرة أشبه بستارة تتفتح على شعر الشاعر وتضيء الكثير من عتمته فهو يقول: ((السيرة الذاتية التي يكتبها الشاعر خلال حياته عن تجربته الشعرية هي أهم الكتابات على الإطلاق... لأنها تضيء خافية المسرح وتكشف عن شؤونه الحياتية والثقافية الصغيرة التي لا يعرفها أحد، ولو أن شعراءنا الكبار كالمتنبي وأبي تمام والشريف الرضي والعباس بن الأحنف وعمر بن أبي ربيعة كتبوا سيرهم الذاتية لانفتحت أمام الدارسين العرب آفاق مذهلة من المعرفة))² وهو يكتب سيرته الذاتية يعي تماما أهمية هذا الجنس الأدبي، بوصفه فنا أدبيا ينطوي على جرأة وأهمية وخطورة في الوقت عينه، فهو يقول في سيرته الذاتية الشعرية الموسومة بـ "قصتي مع الشعر": ((إن هذا الكتاب سيكون نوعا من السيرة الذاتية، والسيرة الذاتية تكاد تكون مجهولة في تاريخ أدبنا))³

غير أنه في الوقت نفسه يقرر انطواء السيرة الذاتية الشعرية على أهمية نقدية يلغي عمل النقد فيها فيقول: ((أريد أن أكتب قصتي مع الشعر قبل أن يكتبها غيري... أريد أن أكشف الستائر عن نفسي بنفسي، قبل أن يقصني النقاد ويفصلوني على هواهم، قبل أن يخترعوني من جديد))⁴

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 83.

² المرجع نفسه ص 83.

³ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 15.

⁴ المرجع نفسه، ص 09.

((لقد حاول "نزار قباني" أن يوظف كل أحداث سيرته ووقائعها في سبيل تكريس مفهومه الخاص للشعر، إذ كل شيء عنده من أجل الشعر ولا شيء غير الشعر، وكان هذا الإخلاص لفنه الشعري بعيدا عن المبالغة في كشف خططه وفرض ما يرى مسبقا على مستقبل نصه الشعري، فالشكل والأساليب الفنية عنده تختارها حساسية التجربة وضرورتها الشعرية))¹ إذ يقول: ((أنا لا أستطيع حين أكتب أن أعرف إلى أين ستجني القصيدة، ولا حجم المفاجئات التي تنتظرنني معها... تحت كل كلمة يختبئ لغم، ووراء كل فاصلة ينتظرنا مجهول جديد، واللغة نفسها تسحبنا في بعض الأحيان ورائها، كما تسحب الخيول جرافات الثلج))²

وإذا أمعنت النظر نجد أن السيرة الذاتية الشعرية لها منطلقات أساسية وهي الاعتدال في الوصف وسرد خصائص وأحداث التجربة لأن ((السيرة إذا اعتدلت كانت أصدق ما يكتب عن رجل وأكثر انطبعا على حياته، لأنها ليست مجال تخمين وافترض ولكنا مجال تحقيق وتثبت))³

وبعد هذا العرض نستشف التجديد الأول والإضافة التي جاء بها الشاعر الراحل "نزار قباني" في كتابه "قصتي مع الشعر" وهو إحداث نموذج جديد للسيرة الذاتية وهو يخص التجربة الشعرية فقط وبهذا يتولد عندنا مصطلح **السيرة الذاتية الشعرية**.

والسؤال هنا يطرح نفسه كيف كتب "نزار قباني" سيرته الذاتية الشعرية؟

وهو ما يوضح في الفرع الثاني.

الفرع الثاني: اللغة الفريدة... سحر اللغة وبراعة الإيهام.

((تتقدم اللغة في سيرة "نزار قباني" الشعرية بوصفها الأساس الأول والحاسم الذي يعتمد عليه في صياغة شخصيته الشعرية، إذ إن دينامية لغته وقدرتها الفائقة على الإيهام هي

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 91.

² نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 192.

³ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 50.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

التي استطاعت أن تخلق منه مدرسة شعرية متفردة، فهو يحتفي بالمفردة احتفاء خاصا يصل إلى حد خلقها من جديد - إيقاعا ودلالة - لقدرته على اكتشاف أسرار الكلمة وثنائها وعوالمها الداخلية¹ في ((أن للكلمات الجميلة أشياء جميلة تماثلها، ولل كلمات ذات الجرس الوقور هوية عمق²)) لذلك فإن انجاز نزار - كما يؤكد هو - دائما انجاز لغة شعرية خاصة ودينامية تكونت لديه ونمت بذورها من الجذور الأولى فهو يقول: ((هذه اللغة الشامية التي تتغلغل في مفاصل كلمات، تعلمتها في البيت المظلة التي حدثتكم عنها³))

((وهذا نابع عنده من المسؤولية التي ينهض بها الشعراء وحدهم في تطوير اللغة وفتحها على آفاق جديدة، فالشعر هو رحلة داخل عوالم اللغة لاكتشاف طاقاتها وقدراتها المكبوتة واطلاقها في محيط التعامل الخارجي لإثراء دلالاتها وتطويرها وتوسيع ماديتها⁴)) ويرى "نزار قباني" الإبداع مغامرة قائلا: ((والشاعر الذي لا يدخل كل يوم في مغامرة جديدة مع اللغة التي يكتب بها، يسجن نفسه في دائرة من الطباشير تضيق عليه يوم بعد يوم حتى تقتله⁵))

إن هذا النوع والثراء في لغة "نزار قباني" ناتج من ثراء تجربة الحياة التي عاشها فهو يقول عنها: ((من هذا المخزون الهائل من الخطوط، الألوان، الأصوات، ومن رائحة البواخر الحادة ورائحة الفنادق... ونوافذ القطارات... من ضجر المقاهي... ومن سفر داخل الكتب وسفري داخل الإنسان تكون عندي قاموس شعري... إنني في شعري أحمل جنيات العالم كلها... وانتمي لدولة واحدة هي دولة الإنسان))⁶

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 85.

² جاستون باشلار: جمالية المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1980، ص 111.

³ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 36.

⁴ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 85.

⁵ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 51.

⁶ المرجع نفسه، ص 99.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

وهو يحاول هنا التأكيد على عالمية لغته وقدرتها على الاستجابة للعاطفة البشرية خارج إطار الحدود والفواصل المكانية والزمانية.

والملاحظ في سيرة الشاعر الذاتية الشعرية أنها سلسلة من المغامرات والكشف عن عوالم اللغة الشعرية وطاقاتها الإيهامية بحثاً عن الجديد.

وبهذا يمكنني أن أقول أن "نزار قباني" سليل مدرسة تركز في عمق شديد على أناقة اللغة وتجاوز الألفاظ، فهي لغة أنيقة من غذاء الناس وجوعهم من هوائهم الذي يتنفسون من مهادي آلامهم وضجيج آمالهم، وهي مدرسة صعبة جداً لأنه عرف كيف يخلق من الصعوبة سهلاً رائع الامتداد، خلق البساطة العظيمة البساطة التي تعز على التقليد، والبساطة التي لا تقود أنصاف المواهب إلى سطحية فجّة، البساطة العميقة التي لا تأتي لمبدع شاق تلك البساطة التي أضحت المستحيلة في عصر بالغ التعقيد.

والسؤال الذي يطرح هنا هل كانت "سيرة" نزار الذاتية الشعرية - قصتي مع الشعر - كتاباً في سيرة لغة "نزار قباني" أراد فيها نزار الكشف عن طاقاته الكبيرة في هذا المجال أم كتاباً في لغة السيرة سرداً ووصفاً؟ والجواب يكون كالتالي:

- سيرة اللغة أم لغة السيرة ؟

يكاد ينفرد الشاعر "نزار قباني" من بين شعراء الحداثة العربية بأنه يمتلك لغة نثرية فيها الكثير من الشعر، لغة ساحرة رشيقة تستثمر معطيات الفنون البلاغية أحدث وأجمل استثمار.

وقد أسهم نثره هذا في تأسيس إرث فني حقيقي لشعره، وتأتي سيرته الذاتية الشعرية "قصتي مع الشعر" واحد من أهم نصوصه النثرية وأخطرهما فضلاً على سيرة التجربة التي ينطوي عليها الكتاب فإنه يقدم سرداً ووصفاً رائعين إلى الدرجة التي تبدو فيها وكأنه قصيدة متكاملة .

إن احتفاء نزار بالفن النثري لم يكن اعتباطيا وإنما كان متأثرا عن وعي جاد بأهميته وخطورته بالنسبة للشاعر، وهو يقول في هذا الصدد ((وقد سبق لي أن قلت أن كتابة النثر هي فضيحة الشاعر، إيماننا منه بأن الكثير من الشعراء حين يمارسون كتابة النثر فأنهم يكشفون عن قدرات فنية متواضعة تخيب آمال الكثير فيهم))¹

والسؤال الذي طرحته سابقا فالإجابة تكون عليه من طرف الناقد محمد صابر عبيد فهو يقول: بهذا الشأن ((لا أشك في أن نزار على الرغم من نجاحه في الأمرين معا فهو يمتلك أسلوبا فذا في تقديم تجربته الشعرية، فقد استطاع أن يحقق توافقا وانسجاما ظاهرين بين قوة سرده وإشراقه - وهو يقترب في الكثير من الأحيان من السرد الحكائي إلى السرد القصصي - وشكل التجربة وطبيعة المعلومة التي يقدمها ولا تتنازل لغة السيرة عن سحرها وإشراقها وقدراتها الإيهامية حتى في المواضع التي تحتاج إلى تحليل وتعليل في بعض مراحل السيرة))²

والظاهرة الأخرى التي يمكن أن نلاحظها في هذا الكتاب هي أن "نزار قباني" يرقص بالألوان، فما السر في هذا؟

الفرع الثالث: اللون والحالة النفسية "لنزار قباني".

البند الأول: تعريف اللون.

إن تعريف المفاهيم والمسلمات في الغالب من الأمور الحرجة والدقيقة، إلا أن علماء اللغة والمعجمين لم يتركوا في اللغة ما يمكن أن يفيد الدراسات اللغوية والأدبية إلا وكان لجهودهم أثر فيها.

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 95.

² محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 95.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

فعرف (ابن منظور) في لسان العرب اللون ((لون: اللون: هيئة كالسود والحمرة، ولونته فتلون، ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، والألوان: الضروب واللون: النوع، وفلان مثلون أي لا يثبت على خلق واحد))¹

أما اللون اصطلاحاً في الموسوعات الحديثة، ففيه تفصيل في ضوء تطور العلم: ((خاصة ضوئية تعتمد على طول الموجة ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه))²

((وبما أن الألوان متعددة فلا بد من الاستعانة بنظام التصنيف والتبويب إلى ألوان رئيسية تنوب عن ذكر غيرها، فتقسم الألوان على ستة أقسام هي الأسود والأبيض والأحمر والأخضر والأصفر والأزرق وذلك لكون هذه الألوان البؤرية في المعجم العربي))³

إن دلالات الألوان في العربية عميقة الجذور، تواكب الحياة العربية في بيئاتها المختلفة وتسائر متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل، إذ تمثل الألوان ملحماً جمالياً في الشعر العربي منذ القديم، ورغم افتقار الصحراء العربية للألوان إلا أن نصوص الشعر العربي القديم جاءت حافلة بالدلالات اللونية، ربما كان ذلك تعويضاً عن جذب الواقع وجفاف الصحراء لذا عني العربي عناية فائقة بالألوان))⁴

ومما يدل على اهتمام الكتاب بالألوان وطبيعتها، والبحث عن انعكاساتها عبر العصور، أن المؤرخين أولوها جزءاً من عنايتهم كالمسعود صاحب كتاب (مروج الذهب) فهو كما تشير الدراسات من أول المهتمين بهذا النوع من الدراسة وجاء كتابه يحتوي على ثلاثة نواح هي:

¹ ابن منظور: معجم لسان العرب، تحقيق يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت 1988، ص 416.

² دلالات الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله محمد حمدان، رسالة ماجستير إشراف يحيى جبر، خليل عودة، كلية

الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين 2008، ص 26.

³ المرجع نفسه، ص 27.

⁴ المرجع السابق، ص 29.

1- الجذر الأول للون دراسة صرفية اشتقاقية.

2- مدلول اللون والزمن.

3- تأثير المكان في اللون.

ولم يكتف المسعودي بهذا الحد، بل حاول الربط بين الحالة النفسية واللون¹

وسأذكر هنا بعض الألوان ومعانيها عند العرب.

((فمثلا "الأبيض" يعني الطهر والنقاء فقالت العرب: كلام أبيض يد بيضاء أما الأسود يدل على الخيانة والخطيئة، الشر والإجرام، رمز الموت والفناء والحزن، والأحمر يدل عندهم على المشقة والشدة والخطر واشتعال الحروب ومن دلالاته على الشيطان، وعلى الغواية والشهوة الجنسية))²

والأخضر أكثر ما جاء الأخضر في الأدب الشعبي مرتبطا بالخصب الذي يبعث على التفاؤل، وبالجمال المستمد من جمال الطبيعة وبالشباب الذي توحى به خضرة النبات الغض الرطب... أما الأزرق لم يتحدد مدلوله عند العرب بل تداخل مع الألوان الأخرى كالأبيض والأخضر³

وتمثل الألوان صبغة جمالية تضيف الحياة أو الحزن أو غيرها على حياتنا، فهي باختلافها وتفاوتها لا تمثل ناحية جمالية تعبر عن حالتنا واستثارة أحاسيسنا فحسب، بل لها أغراض أخرى بقي بها من نواحي عدة فقد توظف الألوان لأغراض ومهام مختلفة غير عنصر الجمال حيث لها بما تحمله من إشارات ورموز وقع قوي على النفوس، نفوسنا نحن البشر وقد أكد علم النفس مدى تأثير الألوان في البشر وفي نفسياتهم ((إن الأطباء طوعوا

¹ دلالات الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله محمد حمدان، ص 31.

² مختار عمر أحمد: اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر ط2، 1997، ص 69-202-203.

³ المرجع نفسه، ص 218.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

الألوان لأغراض علاجية، وعلماء النفس يستخدمون اختبارات الألوان لتحليل الشخصية ويقومون بعلاج بعض الاضطرابات النفسية من خلال الألوان¹

وعند قراءتي لكتاب "نزار قباني" قصتي مع الشعر" والذي أدرجناه في باب السيرة الذاتية الشعرية لفت انتباهي استعمال الشاعر نزار مجموعة معينة من الألوان فتساءلت ما السر في ذلك؟

البند الثاني: اللون والحالة النفسية لنزار.

إن استخدام "نزار قباني" للون وتوظيفه في أشعاره وكتابه لم يكن عبثاً بل كانت له بدايات، ولو رجعنا إلى طفولته لوجدناه نشأ في بيت يعج بالألوان والأزهار والروائح، وهو البيت الدمشقي الذي تجسدت فيه أناقة توزيع الغرف والمساحات وعج به أصص الورد والزهر والأشجار التي تعطر الجو بأريجها وتمتع النظر بألوانها وبما يمثلها بجو أسري حميم يقوم على الألفة والمحبة، وهذا ما أكدّه قباني حيث قال: ((قدم لي البيت الدمشقي الاكتفاء الذاتي هذا البيت أعطاني اللون الأخضر المتقشي في كلي شعري...))²

ويسهب "نزار قباني" في وصف هذا البيت الدمشقي قائلاً: ((بوابة صغيرة من الخشب تنفتح، ويبدأ الإسراء على الأخضر والأحمر والليلك وتبدأ سيمفونية الضوء والظل والرخام... شجرة النارج تحتضن ثمرها والدالية حامل والياسمين ولدت ألفا قمر أبيض... الورد البلدي سجاد أحمر ممدود تحت أقدامك، والليلكة تمشط شعرها البنفسجي...ضمن نطاق هذا الحزام الأخضر... ولدت وحبوت ونطقت كلماتي الأولى...))³

والعامل الثاني هو التجربتان المهمتان في حياته "طفولته" كان لهما أثر بين صورة تعبيره ولغته وهما تجربتا الرسم والموسيقى.

¹ مختار عمر أحمد: اللغة واللون، ص 147.

² حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل بيروت، ط1، 1986، ص 691.

³ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 32-33.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

فهو يقول: ((إذا فقد كان الرسم نزوة ولم تستطع لوحاتي أن تمتص ذبذبات نفسي واستمر البلبال يحفزني من الداخل كنت أشعر أن اللون لا صوت له وأنه طفل جميل ولكنه أحرص¹))

ويكّد تأثيرهما عليه فهو يقول: ((وإذا كانت تجربتا الرسم والموسيقى قد فشلتا وانتهتا بالخيبة فإنها لعبتا بعد ذلك دورا أساسيا في تكويني الفني وفي تشكيل لغتي الشعرية²)) وهكذا فإن موهبتي الرسم والموسيقى اللتين توقفتا أو فشلتا لم تظهر آثارهما بشكل مباشر عبر لوحات فنية أو مقطوعات موسيقية قد حفرتا أثريهما عميقا في نتاج نزار الأدبي شعره ونثره وظهرتا في أعماقه كافة على نحو أكثر تركيبا وامتع جمالا وأغنى إحياء وأشف دلالة وأبعد أثر وقد تمثل ذلك في حقول كتابته الشعرية والنثرية بالصور والألوان والخطوط والظلال .

وأعود هنا الى كتابه " قصتي مع الشعر " لاستخراج باقي الألوان التي وظفها ثم أربطها بالحالة النفسية له، ومن خلال تحدثنا عن البيت الدمشقي نجد اللون الأخضر الذي يعكس لنا حالته النفسية المتميزة بالهدوء والاستقرار والطمأنينة، فكان قانعا وراضيا بهذا الوسط الذي عاش وولد فيه وكان سببا في نموه العقلي .

فالأخضر هنا دل على الحياة والعطاء والخير والسلم والهدوء والأمل، وفي موضع آخر يذكر اللون الأخضر في قوله: ((وهكذا فتح (قالت لي السمراء) الضوء الأخضر أمام ألوف من الشبان والشابات ليعبروا الرصيف الثاني... حيث كانت الحرية بانتظارهم))³ فالأخضر يدل على الأمان وتخطي مرحلة الخطر، ونفسية القباني هنا أيضا تتسم بالهدوء بعد الاضطراب والخوف.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 60-61.

²المرجع نفسه، ص62.

³المرجع سابق، ص 92.

ويقول عن حزيران: ((إذا كان حزيران قد دمر كل أحلامنا الجميلة... وأحرق الأخضر واليابس، فلماذا تبقى (الآداب) خارج منطقة الدمار والحرائق))¹

فاستعمال الأخضر هنا تعكس لنا حالة الغضب والحزن والتذمر واليأس والإحباط لما فعله حزيران في نفسيته إذ قضي على كل شيء.

ونجد عنوان الكتاب "قصتي مع الشعر" كتب باللون الأخضر وهذا يدل على شعور "نزار قباني" بالارتياح واتساع في الأفق والأمان عندما قرر أن يبوح لنا بأسراره وخبائمه الداخلي، إذن الأخضر احتل المرتبة الأولى في الكتاب وهذا الارتباط بالطبيعة السورية الخلابة ولما تميزه من خصائص كانت قريبة إلى نفسه.

ويأتي اللون المستخدم بعد الأخضر هو اللون الأزرق فهو يقول: ((إنني أتذكر وجه أبي المطلي بهبهاب الفحم وثيابه الملطخة بالبقع والحروق، كلما قرأت كلام من يتهموني بالبورجوازية والانتماء إلى الطبقة المرفهة والسلالات ذات الدم الأزرق... أي طبقة... وأي دم أزرق... هذا الذي يتحدثون عنه ؟))²

وإذا كان اللون الأزرق يدل على الراحة والأحلام فهنا نزار استخدمه وهو في حالة غضب شديد فهو يتكرر بهذا اللون وينفي وجود أية علاقة به لأنه كان من أسرة دمشقية طيبة تكسب رزقها بالشرف والاستقامة والخوف من الله.

ويلي هذا اللون، اللون الأصفر بحيث يقول: ((اللون الطاعي على (المرحلة الصينية) من حياتي هو اللون الأصفر... إن الأصفر لون عميق وهادئ ومتحضر ومن هذا الزواج بين اللون الأصفر وبين نفسي... ولد طفل جميل اسمه الحزن... داهمني الحزن للمرة الأولى، في جنوب شرقي آسيا، كطائر نورس مبلل الجناحين، ولم أكن قد التقيت بطائر الحزن من قبل، ولا سمحت له أن يعيش فوق أجفاني، ويشاركني حجرتي وسريري... كنت

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 214.

² المرجع نفسه، ص 30.

دائماً حصانا يركض على أرض الفرح... ويصهل مغتبطاً بالشمس والعشب والحرية، وفي الصين تفتحت زهور الشحوب على دفاتري، وكبرت حتى صارت أوراق غابة من الدمع))¹ لهذا اللون دلالة واضحة على نفسية نزار الشاحبة الحزينة الذابلة المليئة بالدموع.

وقد ذكر اللون الأحمر عندما تحدث في فصل الأسماك قائلاً: ((طرت فرحاً باختلاج السمك الأحمر.... والأزرق... والذهبي... في فمي... ويكمل: حتى صارت ذاكرتنا الشعرية في نهاية العام بستانا يموج بالأخضر والاصفر والأحمر...))²

ففي قوله الأول الأحمر يدل الخوف والقلق والاضطراب بحيث نجد الشاعر مضطرباً عندما بدأ يلفظ الشعر الأول مرة وارتبك ولم يعي ما يفعل لأن قول الشاعر في تلك المرحلة ليس بالأمر السهل فهو أحس بخطورة الوضع مما افقده توازنه وسيطرته على ذاته ومن جهة أخرى فكان فرحاً، فهو يقول: ((ما عدت أعرف ما أفعل ، كيف التقط السمك المرتعش ؟ أين أضعه ؟ ماذا أطعمه ليبقى حياً... نزلت بسرعة إلى حجرتي في السفينة، أخرجت دفترًا... ووضعت فيه كل السمك الذي جمعته))³

وهنا يأتي اللون الأبيض فيقول عنه: ((حين كانت طيور النورس تلحس الزبد الأبيض عن أقدام السفينة المجرة من بيروت إلى إيطاليا... كنت أقف وحدي في مقدمتها، أدمم الكلمة الأولى من أول بيت شعر نظمته في حياتي))⁴

الأبيض يدل على الأمان فحالته كانت مستقرة وهادئة لتواجهه في مكان أشعره بذلك وهياً له المجال لنظم الأبيات الأولى من شعره، فطغى الصفاء على حياته.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص113.

²المرجع نفسه ص45-63.

³المرجع السابق، ص63.

⁴المرجع نفسه، ص 62.

الفصل الثاني: ---- إضافات "تزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

ويوظف القمر للدلالة على اللون الأبيض فيقول: ((إنني لم أكتب عن القمر لأنه قمر... ولكنني كتبت عنه كقطعة ديكور جميلة في حضرة العشق، وزهرة الغاردينيا البيضاء لم تكن تعنيني إلا لأنها تستوطن شعر حبيبتي))¹

الحالة النفسية للشاعر هنا حالة فرح وهيام وعشق وحب بحيث أحب هذا اللون لأنه يذكره بحبيبته والجو الرومانسي معها.

ونجد توارد اللون "الرمادي" في هذا الكتاب فهو يقول: ((وهذه الإيقاعات المادية، تسمع بوضوح في قصيدتين من أكثر قصائدي شحوبا وهما (نهر الأحزان) و (ثلاثة بطاقات من آسيا)... وأمطار تشرين وغيومه لم تكن لتستدعي انتباهي إلا لأنها تشكل خلفية رمادية اللون لمواعيدي))² ويصف الفترة التي قضاها في لندن بالمرحلة الرمادية.

واللون الرمادي هو مزيج بين الأبيض والأسود، فهنا يعكس لنا قمة الصراع النفسي الذي كان يعانيه "تزار قباني"، فحياته ملهاة ممزوجة بمأساة فذكر اللون الأبيض دليل على الصفاء وفجأة تحولت حياته، فالأسود هو رمز الحزن والألم والموت ورمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم.

ويسمى مرحلة الطفولة بالورد وحياته في اسبانيا بالمرحلة الوردية إذن اللون الوردي حاضر أيضا، فهو يعكس لنا الحالة النفسية الهادئة والفرحة والزاهية والمشرقة للشاعر.

من خلال هذا العرض يمكن القول أن "تزار قباني" مزاجي المشاعر والهوى متقلب العواطف، واستخدم في ذلك اللون وسيلة لتبليغ ما يشعر به وما يختلجه فראيته في سيرته الذاتية الشعرية " قصتي مع الشعر " يتقلب بين الألوان لأن عواطفه تائرة على الدوام لا تعرف الثبات أو الاستقرار.

¹تزار قباني:قصتي مع الشعر، ص208.

²المرجع نفسه، ص113-209.

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصّتي مع الشعر"

وهو بهذا قد استخدم اللون كوسيلة لنقل مشاعره مع مراحل تجربته الشعرية فهو كان ذكيا جدا، إذ عرف ماهية الألوان ووظيفة كل لون، واستخدمه في المكان المناسب وفي الحالة النفسية الملائمة.

وفي هذا البحث نخلص إلى ثلاثة نقاط رئيسية أضافها نزار لفن السيرة من خلال كتابه السيرذاتي الشعري وهي: "الشكل الجديد للسيرة الذاتية " الشعرية "، واللغة الرائعة الموحية، واستخدام اللون للكشف عن أسرار الذات وهذا كله لخدمة السيرة الذاتية. والمبحث الثاني سأواصل عرض الإضافات ولكنها من نوع آخر.

المبحث الثاني: نزعة "نزار قباني" بين الواقع والخيال.

بعد قراءتي للسيرة الذاتية الشعرية "النزار قباني" تبين لي أن في ثنايا الكتاب "قصتي مع الشعر" عدة نزعات اتسم بها الشاعر.

فيا ترى ماهي أهم هذه النزاعات وكيف تجسدت في كتابه؟

المطلب الأول: التنوع في النزاعات.

لاحظت في المبحث السابق أن "نزار قباني" شخصية قلقة مضطربة متوترة ولا تحب الاستقرار والثبات ورأيت هذا في رقصه بالألوان التي جسدت حالته النفسية، والملاحظة الأخرى هي تنوع النزاعات فهل السبب كان في طبيعة الشاعر أو لدوافع أخرى ؟ هذا ما سأتكلم عنه في الفروع التالية وسأبدأ بالنزعة الإنسانية وكيف تجسدت في سيرته الذاتية الشعرية "قصتي مع الشعر".

الفرع الأول: النزعة الإنسانية.

إن "نزار قباني" يعد من أكبر الحداثيين العرب في هذا العصر، لقد امتلك هذا الرجل مقدرة كبيرة على تطوير اللغة وكان في الوقت نفسه ذا حدس قوي في قراءة أفكار الناس والنفاز إلى شغاف أفئدتهم، ويرى أن الغموض أحد الأسباب الكبرى لانعدام التواصل بين الأديب "الشاعر" والجمهور وأن اللغة لا يمكن أن تصل إلى الناس وتخطب مداركهم وأحاسيسهم إلا إذا مرت عبر القنوات الصحيحة التي تشكل دلالاتها.

ومن أبرز ملامح الإنسانية في كتابه "اهتمامه بالمتلقي" وحمل على كاهله مسؤولية تبليغ الرسالة إلى هذا المتلقي "الجمهور" فقد رأى أن هناك فجوة وقطيعة بين الأديب والمتلقي، فهو يقول في مقال عنوانه الحداثة والأقليات الشعرية: ((هذا الشعر الذي تكتبه "الأقليات الشعرية" في العالم العربي، ماذا يريد أن يقول ؟ ومع من يتكلم ؟ وإلى أي شريحة اجتماعية يتوجه بخطابه ؟

الفصل الثاني: ---- إضافات "نزار قباني" لفن السيرة من خلال كتابه "قصتي مع الشعر"

إن تاريخ الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا إنما كان شعر الأكثرية الساحقة... أما في زماننا هذا فقد الشعر وظيفته الرسمية كناطق باسم الشعب العربي، فقد شعبيته الساحقة... وفقد سلطته كحاكم مطلق على وجدان الأمة... أزمة الشاعر العربي الحديث أنه أضاع عنوان الجمهور فهو يقف في قارة، والناس يقفون في قارة ثاني وبينهما بحار من التعالي وعقد العظمة، لماذا يعيد موزع البريد قصائد أكثر شعارتنا إليهم ؟ لأنهم نسوا عنوان الشعب أو تناسوه...¹

والوسيلة التي اعتمدها "نزار قباني" في سيرته الذاتية الشعرية والتي تعكس لنا النزعة الإنسانية حسب رأبي اعتماده أسلوب أو إستراتيجية اللاتحديد وتنشيط القارئ.

((لقد جاء "كتاب" نزار قباني "قصتي مع الشعر" غنيا بمواقع اللاتحديد، مما يوصف بالنص المفتوح فنيا احتكاما لرأي " أيزر" فيقول: ((أن العمل الأدبي الناجح واضحا غاية الوضوح في الطريقة التي يعرض بها عناصره لأن ذلك يفقد القارئ أهميته، فما يمنحنا فرصة تصور الأشياء هو الواقع الجزء الغير مكتوب في النص.))²

وهذا ما نجده في كتابه من علامات الاستفهام وعلامات الحذف وألفاظ متكررة فكثرت الأسئلة التي يطرحها تجعل المتلقي في حيرة من أمره، مما يجد نفسه هو يبحث عن الإجابة وهذا هو غرض "نزار قباني" لأنه أراد أن يشاركه هذا المتلقي همومه وآسيه ويحس به لأنه إنسان مثله .

ونفس الشيء بالنسبة إلى الحذف الذي بات ظاهرة أسلوبية في كتابه وحتى في أشعاره وهذا كله يعكس لنا اهتمامه بالمتلقي.

¹وليد قصاب:نزار قباني وشعراء الحداثة.

2012/12/26 http://www.alukah.net/web/alkassab/10_511/30700

²روبرت سي هو ليب: نظرية التلقي (مقدمة نقدية)،ترجمة عزالدين إسماعيل،النادي الأدبي الثقافي،مركز الإنماء العربي،حلب سوريا،(د.ط)، 1989، ص231.

فنجده يقول: ((لذلك ليس عندي أية نظرية عن ذلك الزلزال الذي يركض تحت سطح جلدي، ومن أين يجيء... وإلى أين يذهب?... ولكن أين يسكن الشعر?... وقادنتي تساؤلتي إلى تنازلات أخرى: لماذا تكون البساطة عدوانا على التاريخ بل لماذا تكون طفولة القصيدة سببا من أسباب إدانتها؟ هل تتعارض الطفولة مع البلاغة... كانت الأصوات في داخلي تتساءل لماذا يبقى الشيء على حاله؟ لماذا لا يتغير حجمه؟ لماذا لا يغير اسمه؟ لماذا يبقى المقعد قاعدا... والشجرة مستقيمة والطاولات بأربعة أرجل؟))¹

هذه الطريقة في التساؤل الدائم ينشط القارئ ويجعله يشاركه الوجدان ومن أمثلة الحذف نذكر: ليس في اللغة الإسبانية حياد... فهي لغة عشق وثورة معا... لغة ماء ونار...
((²

ويقول: ((لقد خسرت كثيرا من النساء... بسبب ضعف موهبتي "التمثيلية"... ورفض المستمر ارتداء ملابس المهرجين... وطلاء عواطفني بألف لون ولون... وتمثيل دور أنا غير مقتنع به أساس...))³

أما التكرار فقد تجلى في قوله: ((ولكنني بعد ثلاثين عاما... لا أزال واقفا... واقفا...
واقفا...))⁴

وهناك تعبيرات صرح فيها باهتمامه بالمتلقي وإبراز إنسانيته منها: ((أنا شاعر يود أن يلعب لعبته في الهواء الطلق... ومع بشر حقيقيين... الشعر يد... والجمهور باب... والشاعر الذي لا يتجه إلى أحد، يبقى نائما في الشارع... شعراء كثيرون لا يزالون نائمين في الشارع لأنهم لا يحفظون التهمة التي تفتح مغارة (علي بابا)... وبدلا من أن تكون ثقافة الشاعر وسيلة للتفاهم والاقتراب... أصبحت قلعة حجرية لا تفتح أبوابها للجمهور... إن

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 21-53-57.

²المرجع نفسه، ص 56.

³المرجع نفسه، ص 149.

⁴المرجع السابق، ص 161.

انقطاع الخيط بين شعراء الكلمات المتقاطعة والجمهور ملأهم بمركبات النقص، فراحوا يهتمون هذا الجمهور بالغباء، والسطحية والمراقة... وأن العلة ليست فيهم بل في الجمهور¹((

ويقول في موضع آخر أن سبب كره الناس له اهتمامه بالمتلقي فيقول: ((هذا الحب بيني وبين جمهوري صار صلبا ثقيلا على كتفي... فكلما اتسعت قاعدتي الشعرية... زاد خصومي، واعتقد أن العلاقة بين الشاعر وجمهوره هي نفس العلاقة بين الوجه والمرأة...))² ويؤكد لنا قيمة الجمهور الذي عكس لنا نزعتة الإنسانية لأنه لو لم يكن "نزار قباني" إنساني لوجدناه يكتب بلغة غامضة ومرمزة لايهمه هذا المتلقي أو الجمهور بل على العكس كان يهمه بالدرجة الأولى فيقول: ((إن سلطة الجمهور، كسلطة الله، قد تكون غامضة وغير مرئية... ولكنها سلطة أكيدة وحقيقية تدخل في رحمتها من تشاء: وتطرد من رحمتها من تشاء... وليس الجمهور، مجموعة من الغرائز والنزوات والانفعالات، كما يزعم المنفيون عن جنة الناس، ولكنه "بوصلة" بمنتهى الذكاء والحساسية، تعرف أين أرض المطر... وأين أرض السراب، صوت جمهوري علمني التسامح والغفران...))³

ومما يدل ويعكس لنا إنسانيته توارد الكلمة في كتابه في أكثر من موضع نذكر منها: ((إنني في شعري أحمل جنسيات العالم كله... وأنتمي لدولة واحدة: وهي دولة الإنسان، إنني لا أبرئ نفسي من جريمة الحب، على العكس أنا اعتقد أن أكبر جريمة يرتكبها إنسان ما... هي أن لا يعشق... إذن فالشعر اقرار إنساني، ولم نسمع أن شجرة صفصاف كتبت قصيدة... أو بلبل نشر ديوان شعر... الإنسان يقول شعرا لأنه لو لم يفعل لاختنق بفيضاناته الداخلية... إن للنفس البشرية كما للجلد البشري، مسامات تتنفس من خلالها والشعر هو مجموعة المسامات النفسية التي تساعد الإنسان على التخلص من

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص156-157-158.

²المرجع نفسه، ص160-162.

³المرجع السابق، ص 163-164.

انفجارات أذكاره ومشاعره وملاحظتي أن الشاعر "نزار قباني" في سيرته الذاتية الشعرية تجلت إنسانيته في إيجاد لغة ثلاثة: "إن اللغة الثالثة" تحاول أن تجعل القاموس في خدمة الحياة والإنسان... إن لغتي الشعرية تنتمي إلى هذه (اللغة الثالثة) التي تحدثت عنها...¹ إذن بالإضافة الأخرى التي حملتها السيرة الذاتية الشعرية "قصتي مع الشعر" "النزار قباني" لفن السيرة هي النزعة الإنسانية بحيث تجلت في الشاعر كون هو إنسان ويكتب لإنسان آخر وكتابته ستبقى خالدة وسأكشف عن رومانسية وكيف تجلت في الفرع الثاني.

الفرع الثاني: النزعة الرومانسية.

تجلت رومانسية "نزار قباني" في سيرته الذاتية الشعرية في علاقته بالمكان وتعامله معه ((بحيث طرحت هذه الأخيرة معالم المكان بوصفه عنصرا حاسما من عناصر تجربته الشعرية وهو يدين للمكان بجزء كبير من شاعريته، ويبدو أن نزار كان على وعي تام بخطورة المكان في تشكيل الفضاء الشعري للقصيدة، وهذا الاهتمام الشعري يشعر به المكان ينقله من الحدود الكامنة المجردة الى انفتاح يصل به إلى أسطرته أحيانا لأن المكان الذي نحبه وتنقله بسبب ذلك إلى مناخ فني منفتح على آفاق إبداعية جديدة.))²

إن نزار في حديثه السيري عن التجربة يعود دائما وبحنين واضح إلى أماكنه المكونة المؤسسة، تلك التي فعلت فعلها في إشعال فتيل الجمال والفن فلا بد عنده أبدا من العودة مرة أخرى إلى الحديث عن "مئذنة الشحم" لأنها المفتاح إلى شعري، والمدخل الصحيح إليه وبغير الحديث عن هذه الدار تبقى الصورة غير مكتملة ومنترزة من إطارها))³

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص120.

²محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص89.

³المرجع نفسه، ص90.

ويكمل قائلاً: ((هل تعرفون معنى أن يسكن الإنسان في قارورة عطر ؟ بيتنا كان تلك القارورة، إنني لا أحاول رشوتكم بتشبيه بليغ، ولكن ثقوا إنني بهذا التشبيه لا أظلم قارورة العطر... وإنما أظلم دارنا))¹

وقد تحدث عن المكان عندما يصبح فضاء سير ذاتي وقد تنوعت من أماكن إقامة وانتقال وكانت واقعية.

ويضيف الناقد محمد صابر عبيد في حديثه عن المكان السير ذاتي النزاري وأنا أشاطره الرأي: ((لا بد لمثل هذا الإحساس الاستثنائي بنكهة المكان وسحره وأثره الحاسم في صياغة شكل التجربة، ومن أن يؤدي إلى إمعان النظر النقدي بحرص وعمق ودقة إلى منظومات المكان في نص "نزار قباني" عند دراسته وتحليله، لأن أماكنه الشعرية بحد ذاتها تمتلك سيرها الخاصة وحكاياتها وأساطيرها، وأشكالها الملونة التي لا تكف عن نداء ذاكرة الشاعر المتوقدة وحلمه الناشط بمعاينة هذا العالم المكاني الذي يختزن في داخله عوالم شعرية جمّة))

فيقول في كتابه ((يوم ولدت... كانت الأرض هي الأخرى في حالة ولادة... وكان الربيع يستعد لفتح حقائبه الخضراء... الأرض وأمي حملتا في وقت واحد... ووضعتا في وقت واحد كل الذي أعرفه أنني يوم ولدت كانت الطبيعة تنفذ انقلابها على الشتاء... وتطلب من الحقول والحشائش والأزهار والعصافير أن تؤيدها في انقلاب... على روتين الأرض))² ((ولم تكن سيره المكان "النزاري" مقتصرة على البيت وحده، إذ حاول نزار أن يمد ذلك خارج حدود الميدانية للبيت، لينقله بذلك من صورته الواقعية إلى شكله الشعري القادر على الانطلاق إلى فضاء لا حدود له، وبذلك فإن نزار فتح المكان الشعري ليستوعب إرثه المكاني كاملاً))³

¹ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 89.

² نزار قباني في قصتي مع الشعر، ص 90.

³ محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ص 90.

فتحدث نزار عن مدرسته قائلاً: ((كانت المدرسة على بعد خطوات من بيتنا أي أنها كانت امتداداً طبيعياً للبيت، وحجرة أخرى من حجراته، وبالتالي فإن طريقنا إلى المدرسة كان طريقاً فلكوريا مغرقاً في شاميته))¹

وبما أن المكان لم يكن تقليدياً كما عادل نزار "الشاعر" أن يقنعنا بذلك في سرده السير ذاتي الشعري، ((فإن ذلك يعني أن مناخ هذا المكان كان متاحاً شعرياً أصلاً أو أنه مهياً لاكتساب هذه الصفة الشعرية عندما يقدر له فنا يفهم لغة المكان وتحولاته))² مثل نزار فهو يقول: ((كان اصطدامي بالمكان قدراً يومياً ،؟ كنت إذا تعثرت أتعثر بجناح حمامة... وإذا سقطت أسقط في حضن وردة))³

شجرة النارج تحتضن ثمرها، والدالية حامل والياسمين ولدت ألف قمر أبيض وعلقتهم على قضبان النوافذ... وأسراب السنونو لا تصطاف إلا عندنا))⁴ وكان لهذه الرومانسية عند نزار والواضحة في تعامله مع المكان إلى حد عشقه والإيمان بالقدرة على التقاط إحياءاته وظلاله الشعرية تأثيرها العميق في صياغة شخصية المكان في السيرة الذاتية الشعرية النزارية وفي شعره أيضاً وهو الرومانسية تعكس هنا رهافة حسه ورقة شعوره .

أما النزعة الثالثة فتجسدت في واقعية فكيف كانت في سيرته الذاتية الشعرية ؟

الفرع الثالث: النزعة الواقعية.

أعانت ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية في العالم العربي على أحداث تغيير في الخط الفكري الذي يسير فيه الأدب، وأهم تلك الظروف إحساس الجماهير بحاجتها إلى نوع جديد من الحياة... كان طبيعياً أن ينفر الجيل الجديد من الشعراء والكتاب من الانكبات على

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص41.

²محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية ص 90

³نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص33.

⁴المرجع نفسه، ص32.

القضايا الذاتية والتغني بالعواطف الفردية الوجدانية ولم يقنعهم التجديد الجزئي الذي أحدثه الرومانسيون في بناء القصيدة العربية وفي مضمونها، وقد آمنوا بأن الشعر العربي لم يعد قادراً على تقديم مضمون جديد مع ارتباطه بالطرق التقليدية في الواقعية إلى التخلي عن الذاتية التي كانت لب الاتجاه الرومانسي وإحلال الموضوعية في الخلق الأدبي محلها كما دعت الشعراء إلى ملاحظة صور الأشياء الخارجية عن نطاق الذات واختيار مادة تحاربهم من مشكلات عصرهم الاجتماعية وهذه بعض التأثيرات التي أدخلها الواقعية على الأدب العربي:

البند الأول: أهم السمات الفنية للأدب الواقعي العربي.

- 1- اتجه الشعراء إلى الحياة العامة حولهم يصورون هموم الناس ومشكلاتهم وتطلعاتهم بعد أن تخلصوا من سيطرة الرومانسية عليهم وقد اتجه اهتمام الشعراء الواقعيين بالطبقات الدنيا يصورون مشكلاتها ¹((
- 2- الحديث عن المدينة والتذمر من أحوالها.
- 3- ذكر بعض قصص التراث العربية القديمة أو الإشارة إليها في نوع من الرمز.
- 4- يلجأ بعض الشعراء الواقعيين إلى استخدام الأسلوب الدراسي فيعتمدون على التعبير عن المواقف الشعورية بلغة تقوم على الحركة التصويرية وقد يستخدمون الحوار من خلال استدعاء بعض الشخصيات التاريخية وإقامة حوار تاريخي معهم حول أوضاع الحاضر ²((
- 5- تشغل قضايا الوطن العربي مكاناً خاصاً في شعر الاتجاه الواقعي.
- 6- تضامن الشعراء الواقعيين مع إخوانهم العرب في محنهم المتعددة.
- 7- السخرية من بعض المظاهر الدينية والسياسية في العالم العربي .

¹خفاجي محمد عبدالمنعم : دراسات في الأدب العربي الحديث ، ج 1، دار الجيل بيروت، ط 1، 1992، ص 201.

²جيوسي الخضراء سلمى: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 91.

هذه باختصار سمات الأدب الواقعي العربي .

وسأحاول استخراج سماته من السيرة الذاتية الشعرية لنزار قباني " قصتي مع الشعر"

البند الثاني: ملامح الواقعية في "قصتي مع الشعر"

ظهرت عدة ملامح للواقعية في السيرة الذاتية الشعرية النزارية ومنها :

1- الابتعاد عن الخيال وتصوير مشكلات الناس.

كان "نزار قباني" في عرض سيرته الذاتية الشعرية واقعياً يبتعد عن الخيال فنجدته يسرد لنا وقائع حياته من طفولته إلى كهولته بأسلوب جد واقعي ومما يعكس ذلك حديثه عن المشكلات التي اعترضت مجتمعه ذلك الوقت إذ يتكلم عن نكسة ألمات بهم وكانت لهذه الواقعة تأثيراً شديداً عليه فحمل اللواء وعبر نيابة عن مجتمعه وصرخ بأعلى صوته وهو صوت الشعب المقهور المغلوب على أمره في حزيران .

"نزار قباني" يعترف بأنه زعزع كيانه في حزيران وعندما كان واقعياً وعبر وقال عن ما ينبغي أن يقوله اتهموه بالخيانة والفسق فهو يقول في "هوامش على دفتر النكسة" يكاد من المستحيل أن أستعيد الآن جميع ما قيل عن "هوامش على دفتر النكسة" فهو معروف لدى كل من تابع وقائع المعركة في حينها إلا أنه يمكن تلخيص عناصرها الأساسية بالنقاط التالية:

- 1- أنا شاعر وهبت روحي للشيطان والمرأة...
- 2- أنا المسؤول الأول عن هزيمة حزيران بما كتبت ونشرته خلال عشرين عاماً.
- 3- أنا في "هوامش على دفتر النكسة" سادي... أعذبأمتي، وأرقص فوق جراحها.
- 4- أنا أثبط الهمم وأقتل الأمل وبالتالي فأنا عميل أخدم بكلامي مصلحة العدو.
- 5- أنا لست وطنياً، ولكنني أركب موجة الوطنية وولادتي بعد حزيران -كشاعر ثوري- ولادة غير طبيعية .

كل هذه النعوت والأوصاف والإدانات لم ترمني على الأرض، بل على العكس، كنت أشعر أن قامتي تزدادا طولا وأني أستطيع بقصيدتي أن أحرك الجهاز العصبي للأمة العربية وأخرج العقل العربي من غرفة التخدير...¹

ففي هذا المقطع تظهر واقعية "نزار قباني" في طرح مشكلة ونكسة حلت على العرب فتحول إلى شاعر ثوري يحمل هموم أمته ورسالتها وهو يلوم نفسه على هذه الهزيمة.

وهو يصرح بنيته عندما كتب على نكسة حزيران فقد اتهموه بالتصنع لجلب الشهرة له فرد عليهم قائلا: ((لم يكن في نيتي عندما كتبت (الهوامش) أن أمارس تعذيب النفس، أو تعذيب الآخرين، ولا أن أسرق أضواء الكاميرا... وأكسر مزارب العين حتى أشتهر، ففي ساعات الحزن الكبير تتكسر كل الكاميرات... ويصبح المجد باطل الأباطيل... ثم... ما هو هذا المجد الذي يأكل من جثته التاريخ ويتزعرع في ظل الموت والخرائب))²

فهو يؤكد أن كتابته على حزيران كان طبيعيا بحكم أنه إنسان عربي يهيمه وطنه ويخاف عليه ويحس بكل آلامه ويحميه من المخاطر التي تهدد كيانه وهو ممثل للإنسان العربي بكل انشغالاته وهمومه وأحزانه.

فيقول على تأثير قصيدته التي كتبها عن حزيران: ((ولذلك لم يصدق أكثر العرب قصيدتي لدى نشرها للمرة الأولى صدمتهم صيغتها ولغتها وأفكارها ونبرتها القاسية))³

2- التمرد والرفض.

إن التمرد والرفض من سمات الأدب الواقعي فنجد "نزار قباني" يرفض الوضع الراهن ويثور على الحكام الذين اقتنعوا بالذل واستسلموا له فيقول موضحا: ((ولم تكن الشظايا التي انخرزت في لحمي بعد نشر الهوامش سوى نتيجة طبيعية لتحطيم الزجاج الملون في نفس الإنسان العربي، وسقوط مفهوم الوطنية بمعناها الديماغوجي والعشائري، هذه الوطنية التي

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 216.

² المرجع نفسه، ص 216.

³ المرجع السابق، ص 210.

كانت لا ترى ولا تسمع ولا تحفظ سوى بيت واحد من الشعر يمثل التعصب القبلي في أعلى درجاته.

وما أنا إلا من غزية... إن غوت... غويت... وإن ترشد غزية أرشد...¹

وهو يؤكد عروبه ووطنيته ولكن بشكل آخر فيقول: ((إنني بكل تأكيد أنتمي لغزية... بالولادة واللغة والميراث... ولكن انتمائي إليها يعني بصورة من الصور إلغاء عقلي وبصيرتي وسكوتي على حماقات غزية وحماقات من يحكمونها...))²

3- الاعتقاد بالنضال المسلح ورفض الاستعمار.

((هو الغضب... ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب وأين ينتهي؟ صعب علي كثيرا أن أرسم حدود غضبي فطالما أن هناك سنتمترا واحدا من أرضي تحتله إسرائيل وتذله وتقيم عليه مستعمراتها فإن غضبي بحر لا ساحل له))³ ويظهر رفضه وغضبه للمستعمر في ((هل أرفع قبعتي لهذه الدويلات العربيات المتناحرة كالديكة، الغارقة حتى الرقبة في أنانيتها وفريديتها ونرجسيتها، وعبادة ذاتها ؟ هل من المفترض أن أبتهج للبيارق، والمخافر وأكياس الرمل التي تصطدم بها وأنت تعبر الحدود بين قطر عربي وآخر...؟ لغيري أن يستعمل المنظار الوردي ولغيري أن يعمر القصور في إسبانيا، أما أنا فسوف أبقى ساحبا سيفي في وجه الخرافة حتى أقتلها... أو تقتلني...))⁴

4- موازنة حركات التحرر السياسية والاجتماعية.

إن لسان "تزار قباني" هو لسان إنساني عربي مناضل يؤازر كل حركة تحرر ضد المستعمر الغاشم ويظهر هذا في قوله: ((إن الأطفال في عصر عمرو بن كلثوم كانوا

¹ تزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 219.

² المرجع نفسه، ص 219.

³ المرجع السابق، ص 220-221.

⁴ المرجع السابق، ص 221.

بخيروكان لهم وطن وقبيلة، أما أطفال القدس وحيفا ويافا ونابلس والناصره فلا زالوا يبحثون عن وطن... ويبحثون عن قبيلة.

ووظيفة الشعر أن يقتل الوحش الذي استوطن كل مدينة عربية منذ القرن العاشر ولا زال يأكل أطفالها، ويسبي نساءها، ويملاً بالعرب لياليها، وما (هوامش على دفتر النكسة) سوى محاولة لاصطياد الوحش الكبير، وقص أنيابه قبل أن يفترس كل شيء))¹

5- بساطة الكلمات واستعمال الكلمات الأجنبية والعامية.

استخدام "نزار قباني" كلمات بسيطة تقترب من حياة الإنسان العادي ووظف كلمات أجنبية وعامية وهذا كله يعكس واقعيته فيقول ((سنلبس الملابس الصيفية الخفيفة، ونأخذ معنا الساندويتش وزجاجات الكولا، والبيك آب وورق اللعب... "أنا أعبر الريحنت ستريت في لندن أو الشانزليزيه في باريس... وليس شعر رفائيل البرتي وغارثيالوركا. ولوحة غريفا لبيكاسو... والطالبات يضحكون ويتشمسون ويأخذون الصور التذكارية... ماركوز وعبثية كافكا ولا معقول بيكيت وسادية ميللر وشهوات الليريشاتريل... وفهم مدام بوفاري الفرنسية...))²

6- السخرية.

إن استخدام "نزار قباني" أسلوب السخرية من باب علاج العلل والظواهر المتفشية فيقول في فصل (مفاتيحي) من كتابه السيرة الذاتية الشعرية "قصتي مع الشعر" ((القصيدة العربية ظلت حتى العشرينات من هذا القرن تلبس العباداة الحجازية وتشرب في الوقت ذاته الوبسكي في فنادق القاهرة وبيروت وبغداد ودمشق... كان ثمة تناقض مخيف بين زيها وسلوكها، حتى أمير الشعراء شوقي، كان يتجول في بولفار الشانزليزيه في باريس... وهو ينتعل خف المتنبى... ويشرب النبيذ الإسباني منفاه في غرناطة، ويسكب على مصر

¹ نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 221-222.

² المرجع نفسه، ص 12-16-56-62-198.

البعيدة... دموع البحتري... انتقلنا إلى المدينة وظلت أوتاد البادية مدقوقة في أعماقنا وعرفنا أزهار المارغريت والبانسيه والغاردينيا... وظلت رائحة الرند والعرعار متكمشة في رثتنا... وسكننا أفخم الفيلات والشاليهات... وحملنا معنا إلى غرف نومنا... فوقنا وضباعنا...¹

7- استغلال التراث واستدعاء الشخصيات التاريخية.

تجسد التراث والشخصيات التاريخية في "قصتي مع الشعر" كثيرا نذكر منها: ((كنت أرفض أن أكون نسخة بالكربون لأي شاعر آخر... ففي العالم متنبى واحد... هذا يستعير سيف أبي فراس... وذاك يستعير حصان عنتره... وثالث يستعير عباءة ابن الرومي... بعض شعري يقدمني للناس بملامح "شهريار"... وأدانوني "بالشهريارية"... لأن أبا نواس كان جزء من حانات بغداد والبصرة... شعر عمر بن أبي ربيعة... اغتال جميع الخرافات من أبي زيد الهلالي إلى الزير، إلى شاطئ حسن السندباد...))² وهذا يعكس لنا أصالة جذوره وواقعيته .

وبعد هذه الجولة السريعة حول إضافات "تزار قباني" لفن السيرة من خلال سيرته الذاتية الشعرية "قصتي مع الشعر" تبين أنه أضاف نموذج جديد خص به تجربته الشعرية وكتبها بلغة ساحرة ذات إيهام قوي ودلالة قوية اعتمد على اللون لعكس حالته النفسية لإيضاح ماخفي من شخصيته وامتلاء قلبه بنزعة إنسانية ورومانسية في تعامله مع المكان باعتباره محطة هامة في سيرته ويغطي هذا كله واقعيته.

¹تزار قباني: قصتي مع الشعر، ص33.

²المرجع نفسه، ص82-84-153-160-197-230.

حجستان
حجستان
حجستان

خاتمة:

لقد صدق "نزار قباني" عند ما قال: في كتابه "قصتي مع الشعر": ((كنت أبحث باستمرار عن وجهي وصوتي عين ألوف الأوجه والأصوات، استعارة أصابع الآخرين وبصماتهم لم أحترفها، كنت أريد أن أكتب بأصابعي أنا وأترك على الورق بصماتي المميزة... كنت أرفض أن أكون نسخة بالكاربون لأي شاعر آخر...))¹

لقد ترك حقا بصماته الخاصة به ووفق إلى حد كبير، فتكلم بصوته الحقيقي ونقل لنا صورته الطبيعية لا تلك المبتدعة من طرف النقاد.

فكتابه السير الذاتي الشعري بوابة فتحت على مصرعيها، تحدث فيه عن أسفاره وأخباره وبداياته وهواياته وصديقاته وعن أسرته وداره الدمشقية ومدرسته والخلفية العائلية الاجتماعية والثقافية التي تقف وراء شعره.

حدثنا عن رموه بالورد وعن رموه بالحجارة، عن عانقوه وعن صلبوه. حدثنا عن القصائد التي صنعت مجده والقصائد التي حملت حنقه حدثنا عن أصدقائه وعن أعدائه، عن نثروا في طريقه الزنابق... ومن رفعوا في وجهه البنادق.

وقال لهم: ((إني أحبهم جميعا، حاملي الزنابق، وحاملي البنادق وأمد لهم يدي مبتسما وشاكرا))²

لقد تكلم عن نفسه بنفسه دون وسائط، فوجدنا التطابق واضح وجلي بين المؤلف والشخصية الرئيسية والسارد، وحدد طبيعة كتابه من خلال إعلانه للميثاق الذي عقده مع القارئ في قوله: ((هذا الكتاب سيكون نوعا من السيرة الذاتية))³

وعكس لنا أهم الدوافع التي حفزته للبحث بتجربته الشعرية ومنها إثبات وجوده ورسم صورته الحقيقة وتبين أثر الوراثة والبيئة في تكوينه، والقلق النفسي الذي عاشه وعائشه ومساهمته في تحويل مسار تجربته الشعرية ومنها نكسة حزيران. وقد أكد على السفر والمرأة

¹ - نزار قباني: قصتي مع الشعر، ص 82.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 15.

كرافدين هامين لا يمكن إهمالهما في حياته، ومن جهة تأثره بالمكان الطبيعي وتحوله في فضاء سيرذاتي كالمدرسة والدار الدمشقية اللتين كانتا مهدين له ومرتعين لصباه، ويبرز لنا دور الأم (المرأة) في احتضانه وتكوينه الطفولي.

ومن جهة أخرى "نزار قباني" يخشى الموت بكل أشكاله فهو أراد أن يترك صورته الحقيقية حتى بعد رحيله عن هذه الدنيا وقد تأثر بموت أخته وابنه وزوجته، فبث فيه هذا حب البقاء حتى بعد الفناء، أراد الخلود فكان له.

وقد تبين أن نزار في صراع داخلي دائم يعكس لنا رفضه لما هو موجود وحبّه للتغيير والجديد في كل شيء، استخدام أسلوب الوصف والسرد وأبدع فيهما بلغة أنيقة ذات قدرة فائقة على الإيهام.

وفق إلى حد بعيد في استخدام اللون وتذليله لعكس حالته الشعورية بحكم تجربته الطفولية للرسم.

نزار لم يكن أناني بل كان يكتب ويفكر في الذي يكتب له وهو "المتلقي" فجعل بينهما جسرا لنقل ما في جعبته إليه ومقاسمته تجربته.

كان محبا لوطنه غيورا عليه، صبغت النزعة الإنسانية والواقعية والرومانسية كتابه السيري الذاتي الشعري "قصتي مع الشعر".

وبكل اختصار "نزار قباني" إنسان شاعر بسيط، مرهف الإحساس، غيور على وطنه، أحب الحرية في كل شيء وسعى إلى التجديد مع الحفاظ على التراث.

أحب أمه وأحب كل امرأة في صورتها، المرأة هي الأنوثة والعطاء والحرية والخلود والبقاء.

تميز وانفرد نزار بتجربته الشعرية وبكل مفاتيحها وقد خصها بثوب يليق بها.

"نزار قباني"

شاعر أردا أن يبوح بصدق ما أحس وصدق عندما عبر.

شاعر أحب الجميع وأعطى الكثير وأخذ القليل.

شاعر عظيم وما زال عظيم وسيبقى عظيم.

واجبنا تجاه هذا الهدهد أن نعطيه حقه وننفذ الغبار عن أعماله ونقدمه للقارئ كما أراد هو أن يقدم نفسه.

واجبنا تجاهه تقديره وتعظيم أعماله والاعتراف بقدراته وموهبته النادرة.

"نزار قباني" ستبقى بدرا تضيء الليالي.

ووردة عطرة تشتت في البراري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملحق رقم(1): البطاقة الشخصية "نزار قباني"

((الاسم: نزارتوفيق قباني.

تاريخ الميلاد: 21 مارس 1923.

محل الميلاد: حي مئذنة الشحم... أحد أحياء دمشق القديمة.

الأسرة: أسرة قباني من الأسر الدمشقية العريقة... ومن أبرز أفرادها أبو خليل القباني مؤسس المسرح العربي في القرن الماضي، وجد نزار... أما والده توفيق القباني فنقول كتب التاريخ إنه كان من رجالات الثورة السورية الأمجاد، وكان من ميسوري الحال يعمل في التجارة وله محل معروف وكان نزار يساعده في عملية البيع عندما كان في صباه.

أنجب توفيق قباني ستة أبناء.... نزار، رشيد، هدياء، معتز، صباح، وصال التي ماتت في ريعان شبابها.

المؤهلات الدراسية والمناصب.

حصل على البكالوريا من مدرسة الكلية العلمية الوطنية بدمشق ثم التحق بكلية الحقوق بالجامعة السورية وتخرج فيها عام 1945.

عمل فور تخرجه بالسلك الدبلوماسي بوزارة الخارجية السورية وتتنقل في سفاراتها بين مدن عديدة، خاصة القاهرة ولندن وبيروت ومديد وبعد إتمام الوحدة بين مصر و سوريا عام 1959 تم تعيينه سكرتيرا ثانيا للجمهورية المتحدة في سفارتها بالصين.

وظل نزار متمسكا بعمله الدبلوماسي حتى استقال منه عام 1966، طالب رجال الدين في سوريا بطرده من الخارجية وفصله من العمل الدبلوماسي في منتصف الخمسينات، وبعد قصيدته الشهيرة " خبز وحشيش وقمر" التي أثارت ضده عاصفة شديدة وصلت إلى البرلمان¹

¹ صالح زيادنة: نبذة عن حياة نزار قباني. الموقع

<http://www.khayma.com/salehzyadmeh/poet/nizar.txt.htm> 2012/11/29

كان يتقن اللغة الانجليزية خاصة وأنه تعلم اللغة على أصولها عندما عمل سفيراً
لسوريا في لندن بين عامي 1952 - 1955.

الحالة الاجتماعية:

تزوج مرتين... الأولى من سورية تدعى "زهرة" وأنجب منها "هدباء" و توفيق وزهراء"
توفي توفيق بمرض القلب وعمره 17 سنة وكان طالبا بكلية الطب بجامعة القاهرة ورثاه نزار
والده بقصيدة شهيرة عنوانها الأمير الخرافي توفيق قباني.

والمرة الثانية من " بلقيس الراوي"، العراقية.... التي قتلت في انفجار السفارة العراقية
ببيروت عام 1982 وترك رجيلها أثرا نفسيا سيئا عند "نزار قباني" ورثاها بقصيدة شهيرة
تحمل اسمها. حمل الوطن العربي كله مسؤولية قتلها... ولنزار من بلقيس ولد اسمه عمر
وبنت اسمها زينب، وبعد وفاة بلقيس رفض نزار أن يتزوج وعاش سنوات حياته الأخيرة في
شقة بالعاصمة الانجليزية وحيدا.

قصته مع الشعر:

بدأ نزار يكتب الشعر وعمره 16 سنة عندما كان في رحلة بحرية مع المدرسة إلى
روما حين كتب أول أبياته الشعرية متغزلا بالأمواج والأسماك التي تسبح فيها، أصدر أول
دواوينه " قالت لي السمراء" عام 1944 وكان طالبا بكلية الحقوق وطبعه على نفقته
الخاصة، له عدد كبير من دواوين الشعر تصل إلى 35 ديوان، كتبها على مدار ما يزيد على
نصف قرن أهمها " الرسم بالكلمات ، قصائد ، سامبا ، أنت لي." ¹

" لنزار قباني" عدد كبير من الكتب النثرية أهمها " قصتي مع الشعر " ما هو الشعر،
1000 رسالة حب "... أسس دار النشر لأعماله في بيروت تحمل اسم " منشورات
"نزار قباني".

¹ صالح زيادنة: المرجع نفسه.

أمير الشعر الغنائي:

على مدى 40 عاما كان المطربون الكبار يتسابقون للحصول على قصائد نزار فكان عددها 20 قصيدة غناها 8 مطربين ومطربات ¹((

صدّات ومعارك:

كانت حياة نزار مليئة بالصدّات والمعارك أما الصدّات فأهمها:

1- وفاة شقيقته الصغرى وصال وهي مازالت في ريعان شبابها وهناك تضارب في سبب وفاتها فهناك من يرجع ذلك بسبب مرض القلب والرأي الآخر يقول بأنها انتحرت بعد أن أجبرها أهلها على الزواج من رجل لم تكن تحبه.

2- وفاة أمه التي كان يعشقها... كان هو طفلها المدلل وكانت هي كل النساء عنده.

3- وفاة ابنه توفيق من زوجته الأولى.

4- مقتل زوجته بلقيس الراوي في حادثة انفجار بالسفارة العراقية ببيروت.

5- نكسة 1967... أحدثت شرخا في نفسه وكانت حدا فاصلا في حياته جعله يخرج من مخدع المرأة إلى ميدان السياسة.

أما عن المعارك فيمكننا أن نقول منذ أن دخل نزار مملكة الشعر بديوانه الأول "قالت لي السمراء عام 1944" وحياته أصبحت معركة دائمة.

- معركة قصيدة " خبز وحشيش وقمر " التي أثارت رجال الدين في سوريا ضده وطالبوا بطرده فكان أول شاعر تناقش قصائده في البرلمان ²((

- معركة " هوامش على دفتر النكسة "... فقد أثارت القصيدة عاصفة شديدة في العالم العربي وأحدثت جدلا كبيرا بين المثقفين... ولعنّف القصيدة صدر قرار بمنع إذاعة أغاني نزار وأشعاره في الإذاعة والتلفزيون.

¹ صالح زيادنة: المرجع نفسه.

² صالح زيادنة: نبذة عن حياة نزار قباني.

- وفي عام 1990 صدر ضده قرار من وزارة التعليم المصرية بحذف قصيدته "عند الجدار" من مناهج الدراسة بالصف الأول الإعدادي لما تضمنته من معاني غير لائقة وقد أثار القرار ضجة في حينها واعترض عليه كثير من الشعراء في مقدمتهم محمد إبراهيم أبو سنة.

- المعركة الكبيرة التي خاضها ضد الشاعر الكبير " أدونيس " في أوائل السبعينات "قصة الخلاف تعود إلى حوار مع نزار أجراه منير العكش الصحفي اللبناني ونثره في مجلة مواقف التي يشرف عليها أدونيس، ثم عاد نزار ونشر الحوار في كتيب دون أن يذكر اسم المجلة التي نشرت الحوار... فكتب أدونيس مقالا عنيفا يهاجم فيه نزار الذي رد بمقال أعنف وتطورت المعركة حتى كادت لتصل إلى المحاكم لولا تدخل أصدقاء الطرفين بالمصالحة.

- عام 1990 أقام دعوى قضائية ضد إحدى دور النشر الكبرى في مصر لأن الدار أصدرت كتابه " فتافيت شاعر " متضمنا هجوما حادا على نزار على لسان الناقد اللبناني جهاد فاضل... وطالب نزار بـ 100 ألف جنيه كتعويض وفي الأخير تم الصلح.

آخر العمر:

بعد مقتل بلقيس ترك نزار بيروت وتقل بين باريس وجنيف حتى استقر به المقام في لندن التي قضى بها الأعوام الخمسة عشر الأخيرة من حياته ومن هناك كان يكتب أشعاره ويثير المعارك والجدل... خاصة قصائده السياسية خلال فترة التسعينات متى يعلنون وفاة العرب، المهولون، أم كلثوم على قائمة التطبيع.

وافته المنية في لندن 1998/04/30 عن عمر يناهز 75 عاما كان منها 50 عاما بين الفن والحب والغضب.

الملحق (02): "قصتي مع الشعر لنزار قباني".

((نزار قباني يقول عن كتابه: لن يكون هذا الكتاب تاريخاً بالمعنى الأكاديمي للتاريخ لأن التاريخ هو علم الحوادث الميئة، علم الحوادث التي توقفت عن الفعل والانفعال لن يكون هذا الكتاب بحثاً جيولوجياً لمادة قصائدي وتربتها وتشكيلها، فالقصيدة ليست إناءاً رومانياً أو فينيقياً من الفخار تنتمي مهمتها بقراءة الكتابة المحفورة عليه، القصيدة ليست مادة منتمية، ليست زمناً ميتاً، إنما جسر ممدود على كل الأزمنة هذا الكتاب سيكون نوعاً من السيرة الذاتية، والسيرة الذاتية تكاد تكون مجهولة في تاريخ أدبنا، الأديب العربي لا يحب السفر في داخل نفسه ولا يحب استعمال المرايا، حديث النفس للنفس في بلادنا مكروه، نحن لا نفهم المونولوج الداخلي ونعتبره نوعاً من الغرور والنرجسية.

الشعر العربي يبقى صامتاً بانتظار حفلة تأبينه، فحفلات التأبين هي المناسبة الذهبية التي يجلس فيها النقاد على قبر الشاعر كي يلعبوا الورق.

وأنا طبعاً لن أسمح لأحد أن يلعب الورق على قبوري لأنني أريد أن أشارك في

اللعبة))¹

وكان محتوى الكتاب كالتالي:

- 1- إضاءة.
- 2- الشعر القدرى.
- 3- الرقص بالكلمات.
- 4- الولادة على سرير أخضر.
- 5- أسرتي وطفولتي.
- 6- مدرستي الأولى.
- 7- تحطيم الأشياء.
- 8- الأسماك.

¹نزار قباني: قصتي مع الشعر، منشورات نزار قباني بيروت، لبنان، ط 9، سنة 2000، ص 15.

- 9- مهاجمة القطار.
- 10- الحب.
- 11- اغتصاب العالم بالكلمات.
- 12- مفاتيحي.
- 13- قالت لي السمرء.
- 14- الرحيل.
- 15- اللغة الثالثة.
- 16- انتظار مالا ينتظر.
- 17- شاعر النساء.
- 18- حبيباتي.
- 19- أنا و الدنجوانية.
- 20- الجمهور.
- 21- لماذا المرأة.
- 22- سقوط الوثنية الشعرية.
- 23- القصيدة ذلك المجهول.
- 24- مصادر الشعر.
- 25- هوامش على دفتر النكسة.
- 26- حزيران والشعر.
- 27- البحث عن أرض جديدة.

فَتَأْتِيهِمْ
الْمُرْسَلَاتُ جَمْعٌ

وَالْمُرْسَلَاتُ
تَأْتِيهِمْ

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

المصادر:

- 1- نزار قباني: قصتي مع الشعر، منشورات نزار قباني، بيروت- لبنان، ط9، 2000.
- 2- نزار قباني: الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج7، بيروت- لبنان.
- 3- خليل شكري هياس: سيرة جبرا الذاتية في "البئر الأولى وشارع الأميرات"، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سنة 2001.
- 4- فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.
- 5- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية ((قراءة في التجربة الشعرية لشعراء الحداثة العربية))، عالم الكتب الحديث العراق، الشارقة الإمارات، 1999.
- 6- يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، السنة 1975.

المعاجم:

- 7- جمال الدين بن منظور: معجم لسان العرب، تر: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت 1988.

المراجع

- 8- إبراهيم السعافين وآخرون: أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق، عمان ، ط 1، السنة 1997.
- 9- إحسان عباس: فن السيرة، دار صادر، دار الشروق عمان، ط1، 1996.
- 10- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب المعاصر ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 1 ، سنة 2005.
- 11- الفاخوري حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل بيروت، ط1، 1986.
- 12- الديلمي، منصور نعمان نجم: إشكالية الحوار بين النص والعرض في المسرح، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1998.

- 13- الكردي، عبد الرحيم: السرد ومناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004.
- 14- الهواري أحمد إبراهيم: نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية الإنسانية، دار المعارف القاهرة، ط2، سنة 1983.
- 15- تهاني عبد الفتاح شاکر: السيرة الذاتية في الأدب العربي (فدوى طوقان، جبرا إبراهيم جبرا، إحسان عباس نموذجاً)، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002.
- 16- جاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد 1980.
- 17- جيهان أحمد رشتي: الأسس العملية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 18- جيوسي، الخضراء سلمى: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 19- خالد الكرکي: طه حسين روائياً، مكتبة الرائد العلمية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
- 20- خفاجي محمد عبد المنعم: دراسات في الأدب العربي الحديث، ج1، دار الجيل بيروت، ط1، 1992.
- 21- روبرت سي هو ليب: نظرية التلقي (مقدمة نقدية)، ترجمة عزالدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، مركز الاتحاد العربي، حلب سوري، (د.ط) 1989.
- 22- زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، القاهرة، مكتبة مصر، 1972.
- 23- سعيد يقطين: قال الراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.
- 24- شكري المبخوت: سيرة الغائب، وسيرة الآني، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطفه حسين، دار الجنوب للنشر، تونس، سنة 1992.
- 25- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، سنة 1987.
- 26- عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، منشورات دار أمية، دار العهد الجديد المطبعة العربية، تونس، ط2، السنة 1989.
- 27- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1992.

28- عبد الغني محمود: فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ط1، 2006.

29- محمد صابر عبيد: بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا من السيرة إلى التجربة الأدبية عالم الكتب الحديث، إريد دار جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2013.

30- محمد غنيمي هلال: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1962.

31- مختار عمر أحمد: اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1997.

الرسائل الجامعية

32- دلالات الالوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله محمد حمدان، رسالة ماجستير أشرف يحيى جبر، خليل عودة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين 2008.

33- رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم: دراسة تحليلية نقدية سامر صدقي، محمد مرسي، رسالة ماجستير أشرف د. عادل أبو عمشة، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2010.

المجلات والصحف (الدوريات)

34- حسن بحراوي: أنساق الميثاق الاوطوبيوغرافي، السيرة الذاتية بالمغرب نموذجاً، مجلة آفاق المغرب، العدد 3 - 4، سنة 1984.

35- سامية أحمد أسعد: أدب السيرة الذاتية، مجلة الفيصل، العدد 67، محرم 1403هـ، السنة السادسة، تشرين الأول (نوفمبر) 1982.

36- عبد الرحيم رائد مصطفى: دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة، المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علمية متخصصة، م ج 10 عدد (5) كانون الأول 2004 .

37- عبد الله أبو هيف: تمظهرات التشكل السير الذاتي... تحليل نصي لتجربة محمد القيسي، صحيفة تشرين، 2013/03/16 .

38- عمر محمد الطالب: مفهوم الرواية السيرية، مجلة صوت، نينوى، العدد 1، سنة 1997.

المواقع الإلكترونية

- 39- الترجمة في العصر الحديث، خصائص السيرة والترجمة.
www.onef.edu.dz/3oss/.....f322.LA1N2.pdf
- 40- جهاد فاضل: السيرة النزارية، جريدة الرياض
29/11/2012. <http://www.alriyadh.com/2006/10/05/article.191807.html>
- 41- حاتم محمد الصكر، السيرة الذاتية والتجربة الشعرية.
<http://www.alittihad.ae/columns/details.php>
- 42- سلطان القحطاني: التماس الفني بين السيرة والرواية، مقال منتديات زهران الأدبي. 12:26. <http://www.Zahran.org/vb/section9>. 12/04/2013.
- 43- صالح زيادنة: نبذة عن حياة نزار قباني. الموقع
<http://www.khayma.com/salehzyadmeh/poet/nizar.txt.htm> 2012/11/29.
- 44- عبد الفتاح أفكوك، أبوشامة المغربي، أدب السيرة الذاتية، السلسلة الأولى من مقالاتي النقدية، ملتقى رابطة الواحة الثقافية .
http://www.rabitat.alwaha.com/moltqa/show_thread.thp?t=26384 18:35.16/12/2012.
- 45- فريد أمعضشو: حدود التقارب بين الروائي والسيرذاتي في الأدب المغربي الحديث "الرواية نموذجا"
20:43. <http://www.dorob.com/archives/?p=35680>. 18/03/2013.
- 46- قحطان بير قدار: رواية السيرة الذاتية بين الواقع والتمثيل (تمهيد ومحاولة تعريف)، دراسات ومقالات .
13:48. <http://www.majales.alukah.net/literature.language>. 26/03/2013.
- 47- وليد قصاب: نزار قباني وشعراء الحداثة
2012/12/26 <http://www.alkah.net/web/alkassob/10511/30700>

الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين أما بعد...

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان "فن السيرة في كتابات "نزار قباني" النثرية" قصتي مع الشعر" نموذجاً، وقد تضمنت مقدمة ومدخلا وفصلين وخاتمة.

1-المقدمة: احتوت على ذكر الفن الذي ينتمي إليه البحث وطرح الإشكالية والخطوة المتبعة وذكر المنهج المطبق في الدراسة وأهم أسباب اختيار الموضوع، والصعوبات التي اعترضتني، والإشارة إلى أهم الدراسات والكتب التي تناولت هذا الموضوع.

2-المدخل: فكان عبارة عن تمهيد لفن السيرة الذاتية من حيث المفهوم والنشأة في الأدب العربي الحديث، وتداخلها مع التاريخ والرواية، وذكر أهم خصائصها وعلاقتها بالتجربة الشعرية.

3-الفصل الأول: وقد عكس تجليات وتمظهرات النص السير الذاتي في كتاب "قصتي مع الشعر" "نزار قباني"، فمبحثه الأول تحدث عن العناصر المنتمية للنص السيرذاتي من حيث التطابق بين الشخصية المركزية والمؤلف والسارد ومن ناحية ورود الميثاق "العقد" السيرذاتي، والدوافع التي جعلته يكتب سيرته الذاتية الشعرية، هذا كان في مطلبه الأول أما الثاني فتناول الصراع ونجوى الذات، ومدى صدق وصراحة "نزار قباني" في كتابه، واختتمته بعنصري الحقيقة والخيال.

أما المبحث الثاني فتضمن العناصر المنتمية لخارج النص السيرذاتي من حيث العنوان ووجود اسم المؤلف ودلالة الصور على غلاف الكتاب، والإهداء والمقدمة، وفتحة الكتاب، واستخدام أسلوب الحوار والوصف والسرد وكل هذا بلغة متميزة.

والمبحث الثالث كان حول الفضاء السيرذاتي من المكان والزمان وتأثير كل منهما في بناء التجربة الشعرية النزارية.

4-الفصل الثاني: فقد أبرزت فيه إضافات نزار لفن السيرة فتجسد هذا في إضافته وابتداعه نموذج جديد وهو السيرة الذاتية الشعرية واستخدامه اللغة الفريدة التي تشع ببراعة الإيهام والتي تعكس لنا أن نزار هو سليل مدرسة شعرية يضيء طليعتها أستاذان فذان هما: "بدوي الجبل" و"سعيد عقل"، وهي مدرسة تركز على أناقة اللغة التي تتجاوز الألفاظ في بنائها الشعري، كما تتجاوز الأحجار الكريمة النادرة في عقد ثمين.

لكن نزار خرج بلغة الشعر من صومعة "الحبل" و "عقل" إلى شارع الحياة العربية في صخبه وصمته وهدوئه وفقره وغناه... ولا غرابة في ذلك فهو سليل مدرسة صعبة جدا، لكنه عرف كيف يخلق من الصعوبة سهلا رائع الامتداد... خلق البساطة المستحيلة. ومن جهة أخرى اعتماده على اللون كوسيلة لإبراز مكانن نفسه وحالته الشعرية التي لا تلبث أن تستقر فهو شخص قلق زئبقي، طغت عليه النزعة الإنسانية والواقعية والرومانسية.

5-أما الخاتمة: فجاءت عبارة عن استنتاجات وتوصيات.

Résumé

Louange à Dieu seul, que le salut et la grâce soient sur son dernier prophète et messager.

Notre étude est intitulée : La bibliographie dans les œuvres prosaïques de Nizar Kabbani. Nous avons pris comme modèle « Mon histoire avec la poésie ».

Notre étude se constitue de introduction, préambule deux chapitres et épilogue.

1- Introduction : Citant le courant auquel appartient notre thème, la problématique, le plan et le programme appliqué pendant le parcours des études, les raisons pour lesquelles nous avons choisi ce thème et les difficultés que nous avons rencontrées. Nous avons aussi cité les études et œuvres qui traitent ce sujet.

2-2 Préambule: Une introduction à la bibliographie du point de vue de la définition, son concept et son apparition dans la littérature arabe contemporaine, son interférence de l'histoire avec le roman, ses caractéristiques et ses relations avec son expérience avec la poésie.

3- 1^{ère} Partie : Reflétant les caractéristiques et les aspects du texte bibliographique dans le livre de Nizar Kabbani « Mon histoire avec la poésie » en 1^{ère} section. Aussi, nous avons cité les éléments du texte bibliographique du point de vue de la conformité entre le personnage principal, l'auteur et le narrateur, d'autre part l'apparition de la Concorde « Le Contrat » bibliographique et les motifs qui l'ont poussé à rédiger sa bibliographie poétique, en 1^{ère} sous-section. Quant à la seconde sous-section, nous avons analysé le conflit, la méditation, et la sincérité de Nizar Kabbani dans son œuvre. Enfin, nous l'avons clôturé par les éléments de la réalité et la fiction.

La 2^{ème} section, comporte les éléments qui n'appartiennent pas au texte bibliographique du point de vue du titre, l'existence du nom de l'auteur, l'illustration par les images de la couverture du livre, la dédicace, l'introduction et le préambule du livre, puis son utilisation du dialogue, de la description et de la narration dans une langue distinguée.

La 3^{ème} section porte sur l'espace du texte biographique, dans l'espace et dans le temps, et leur influence sur la l'expérience poétique de Nizar.

4- 02^{ème} Partie : Nous avons fait ressortir ce que Nizar Kabbani a apporté à l'art de la biographie, relevés dans sa création d'un nouveau modèle qui est la bibliographie poétique, et l'utilisation d'une langue unique et marquée par l'ambiguïté, qui prouve que Nizar Kabbani est issu d'une école de Poésie, dont les érudits sont les professeurs Badaoui Djabel et Said Akl. Une école fondée sur

l'élégance de la langue qui dépasse les mots dans sa structure poétique, comme un collier serti de pierres précieuses.

Toutefois, Nizar s'est libéré du Monastère de Djabel et Akl, et s'est retrouvé dans la rue de la vie arabe dans son brouhaha, sa sérénité, sa pauvreté et sa richesse... Evidemment, il est issu d'une école draconienne, sachant faire des difficultés une facilité prolongée.... Il a pu créer une simplicité utopique.

D'autre part, il a adopté l'utilisation de la couleur comme moyen pour exprimer ses sentiments instables, vu qu'il est nerveux et impulsif, dominé par la tendance humaine, réaliste et romantique.

5- Quant à l'épilogue, c'est un ensemble de conclusions et de recommandations.

جملہ